

المؤلف والناشر:

حضرة شيخ الحديث السيد نقيب احمد

مهتمم دار العلوم تعليم القرآن ○ رباط ـ ضلع دير

طبع في مطبعة المكتبة العلمية ١٥ شارع مدرسة البنات لاهور

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تكون للنجاة وسيلة ولرفع الدرجات كفيلة . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق بشيراً ونذيرا داعياً إلى الله باذنه سراجاً وقمراً منيرا . والصلاة على من منّ به على المؤمنين إذ بعثه فيهم من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم وإن كانوا من قبل لفى ضلل مبين . وعلى آله وأصحابه الذين هم نجوم الهداية واليقين وعلى من تبعهم وتاسى بأسوتهم أجمعين .

أما بعد فيقول العبد المفتقر إلى الله الغنى نقيب أحمد الديرى الرباطى غفر الله له ولوالديه ولاساتذته وسائر احبته واقربائه .

إن مسئلة التوسل قد صارت معركة لانظار الفحول من العلماء وطال فيها الخلاف والاخذ والرد قديماً وحديثاً وسمى بعض الناس الاشراك بالصالحين وبقبورهم وبآثارهم بالتوسل وعده من التوسل الشرعى فحكموا بجوازه بل بندبه واستحبابه فصاروا يقصدون قبور الصالحين بعرض الحاجات وكشف الكربات ويستغيثون اليها ويستعينون بها وينذرون لها ويعكفون بها ويتمسحون ويطوفون بها ويعفرون الخدود بها ويسجدون لها وكل ذلك يسمونه التوسل ومن انكر عليهم من أهل

العلم يرمونه بألقاب السوء فينسبونه تارة إلى الاعتزال وتارة إلى الرفض والخروج وتارة إلى الوهابية وتارة إلى انكار الكرامات وتارة إلى توهين الاولياء وسبهم وانكارهم وغير ذلك وقد صنف فى ذلك بعض المتسمين بسمة العلم رسالات وتمسكوا فيها بقيل وقال وبما فعله فلان وفلان واشعار وقصائد عشقية التى هى من القضايا التخيلية المعلومة بالتصور دون التصديق فضلاً من أن تكون دلائل وبراهين وبآثار وأحاديث واهية غير قابلة لاثبات حكم شرعى وبأحاديث ثابتة صحيحة غير مستلزمة لمطلوبهم كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى فأردت أن أؤلف فى هذا الموضوع رسالة مشتملة على تحقيق معنى التوسل والوسيلة لغة وشرعاً واقسام التوسل الشرعى منها وغير الشرعى جامعة لأنواع من الدلائل دامغة لرؤوس الأهواء داحضة لشبهات أهل البدع والاهواء بحول الله وتوفيقه فها انا اقول وبالله التوفيق .

اعلم أن الكلام فى مقام التوسل من وجوه الاول فى تحقيق معنى التوسل والوسيلة لغة وشرعاً والثانى فى تحقيق مصداق الوسيلة الشرعية وأن الوسيلة الشرعية أى شى هى والثالث فى بيان اقسام التوسل وتعين الشرعى منها وغير الشرعى .

الوجه الاول من الكلام على التوسل

اعلم أن الوسيلة من تصريف وسل يسل وسيلة فهو واسل وتوسل فهو متوسل من ضرب يضرب مثال والوسيلة مصدر منه بحسب أصل التصريف .

ثم لفظ التوسل لما كان مزيداً من الوسيلة ومعرفة المأخوذ فرع

معرفة المأخوذ منه لا بد اولاً من بيان معنى الوسيلة حتى يعلم منه معنى التوسل .

فاعلم أن لفظ الوسيلة على ما يستفاد من ملاحظة كتب اللغة وغيرها يطلق فى اللغة والمحاورة على ستة معانى احدها الحاجة وثانيها الرغبة وثالثها المنزلة عند الملوك ورابعها السرقة وخامسها القربة والسادس ما يتقرب به ويتوصل به إلى الغير .

وفى الشريعة يستعمل فى ثلاثة معان احدها المعنى الأسمى وهى المنزلة فى الجنة التى يستحق الداعى بايتائها النبى ﷺ شفاعته فى دارالشفاعة للمذنبين والثانى والثالث القربة إلى الله وما يتقرب به إلى الله فالوسيلة الشرعية هى القربة وما يتقرب به لكن لا مطلقاً بل إلى الله تعالى فيأول المعانى إلى سبعة .

نستشهد عليها بشواهد وامثلة أما الوسيلة بمعنى الحاجة فكما فى قول عنزة :

إن الرجال لهم إليك وسيلة
إن يأخذوك تكحلى وترجلى

فان الوسيلة فيه بمعنى الحاجة فسره بذلك ابن عباس رض حين سأله نافع عن قوله تعالى وابتغوا إليه الوسيلة قال الوسيلة، الحاجة قال نافع وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال: نعم . أما سمعت عنزة وهو يقول أن الرجال الخ حكاه السيوطى فى الاتقان فى علوم القرآن (ص ١٢٠) وروح المعانى (ص ١٢٤ ، ج ٦) . وأما معنى الرغبة فكما فى الصراح حيث قال الواسل الراغب إلى الله تعالى (ص ٢٤٦ ، ج ٢) . وأما المنزلة عند

الملوك فكما فى المنجد (ص ٩٠٠) والقاموس حيث قال الوسيلة والواسلة المنزلة عند الملك والدرجة (ص ٤٩ ، ج ٤) . وأما السرقة فكما فى الصراح حيث قال توسل أيضاً دزدى يقال أخذ فلان ابلى توسلاً أى سرقة وفى القاموس التوسل السرقة يقال اخذ إبلى توسلاً أى سرقة (ص ٤٩ ، ج ٤ ، مطبوعة نولكشور) . وأما القربة وما يتقرب به إلى الغير والمنزلة فى الجنة فكما فى الصراح قال وسيلة سبب ودست آويز توسل نزديكى جستن بچيزى يقال وسل إلى الله وسيلة وتوسل إليه بوسيلة إذا تقرب بعمل (ص ٢٤٦ ، ج ٢ ، باب اللام) . وفى مختار الصحاح الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير والجمع الوسيل والوسائل والتوسيل والتوسل واحد يقال وسل فلان إلى ربه وسيلة بالتشديد وتوسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل (ص ٣٩٩) وفى المنجد وسل يسل وسيلة ووسل وتوسل بعمل أو وسيلة عمل عملاً تقرب به إليه تعالى فهو واسل والوسيلة جمع وسيل ووسائل ما يتقرب به إلى الغير (ص ٩٠٠) وفى القاموس الوسيلة والواسلة المنزلة عندالملك والدرجة والقربة ووسل إلى الله تعالى توسيلاً عمل عملاً تقرب به إليه تعالى (ص ٤٩ ، ج ٤) .

وفى البيضاوى فى سورة المائدة . من وسل إلى كذا إذا تقرب إليه وفى الحديث منزلة فى الجنة (ص ٩٦ ، ج ٢) وفى تفسير النسفى هى كل ما يتقرب به من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك فاستعيرت مما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك السيئات (ص ٢٨٢ ، ج ٢) وقال فى تفسير بنى اسرائيل وهى القربة الى الله تعالى اه .

وقال الشوكانى فعيلة من توسلت اليه إذا تقربت اليه قال عنزة :

إن الـرجـال لهم إليك وسيلة

إن يأخـذوك تـكحلى وترجلى

وقال آخر :

اذا غفل الواشون عدنا لوصلنا

وعـاد التصافى بيننا والوسائـل

فالوسيلة القربة التى ينبغى أن تطلب والوسيلة درجة فى الجنـة مختصة برسول الله ﷺ وقد ثبت فى صحيح البخارى من حديث جابر رض قال قال رسول ﷺ من قال حين سمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامـة والصلاة القائمـة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامـاً محمودا الذى وعدته إلا حلت[1] له الشفاعة يوم القيامة (ص ٣٦ ، ج ٢) ونحوه فى تفسير ابن كثير (ص ٥٣ ، ج ٢) وقال العينى وهى فى اللغة مـا يتقرب به الى الغير والمنزلة عند الملك يقال وسل فلان الى ربه وسيلة وتوسل اليه بوسيلة اذا تقرب اليه بعمل وفسرها فى حديث مسلم بـأنها منزلة فى الجنة . عمدة القارئ (ص ٦٤١ ، ج ٢) وقال النووى قال أهـل اللغة الوسيلة المنزلة عند الملك (ص ١٦٦ ، ج ١) وقال ابو السعود هى فعيلة بمـا يتوسل بـه ويتقرب الى الله من فعل الطاعـات وترك المعاصى من وسل الى كـذا أى تقرب اليه بشىء (ص ٤١٤ ،

....

١- اقول ليس فى رواية البخارى كلمة إلا فلعلها سهو من الناسخ . وهى موجودة فى رواية أبى داؤد وحينئذ يجعل كلمة من استفهامية للانكار بمعنى النفى . راجـع البخارى (ص ٨٦ ، ج ١) (عون المعبود ص ٢٠٩ ، ج ١) منه .

ج ٣ على هامش الكبير) وقال الامام الرازى الوسيلة فعيلة من وسل اليه قال لبيد الشاعر :

أرى الناس لا يدرون ما قدر امرهم
الا كل ذى لب الى الله واسل

أى متوسل فالوسيلة هى التى يتوسل بها الى المقصود مفاتيح الغيب (ص ٣٩٩ ، ج ٣) وكذا فى تفسير الخازن والبغوى (ص ٣٩ ، ج ٢) وقال التوربستى هى فى الاصل ما يتوصل به الى الشىء ويتقرب اليه وجمعها وسائل وانما سميت تلك المنزلة بها لأن الواصل اليها يكون قريباً من الله تعالى فائزاً بلقائه مخصوصا بأنواع الكرامات . فتح الملهم (ص ٩ ، ج ٢) ومرقات (ص ١٦١ ، ج ٢) وقال الراغب الوسيلة التوسل الى الشىء برغبة وهى اخص من الوسيلة لتضمنها معنى الرغبة وحقيقة الوسيلة الى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحرى مكارم الشريعة تفسير المنار (ص ٣٦٩ ، ج ٦) .

فاستبان الى هذا مفهوم الوسيلة لغة شرعاً وأن مفهوم الوسيلة شرعا هى التقرب والقربة الى الله وما يتقرب به اليه تعالى فالوسيلة الشرعية هى الوسيلة الى الله تعالى . وأما بحسب اللغة فمطلق التقرب وما يتقرب به إلى الغير سواء كان إلى الخالق أو إلى المخلوق فالفرق بين المعنيين صدقا ومصداقاهو العموم والخصوص مطلقا كما لا يخفى .

الوجه الثانى من الكلام على التوسل والوسيلة

اعلم أن حقيقة الوسيلة الشرعية ومصداقها أعنى ما يكون ذريعة للوصول إلى الله تعالى والفوز بالنعم والامن من النقم انما هى اتباع

أوامره والاجتناب عن مناهيه بعد الايمان به واعتقاد ان له سلطة غيبية وله الحكم وبيده الامر يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فحقيقة التوسل الشرعى ليست إلا عبادة الله وحده والاعمال الصالحة فالتوحيد الاعتقادى والعملى هو حقيقة الوسيلة إلى الله تعالى وخلاصة ذلك كله ولبه هو اتباع سنة سيد المرسلين وجعل هواه تابعاً لما جاء به ﷺ كما قال لن يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به . وقال لا يكون احدكم مؤمنا حتى اكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين (مشكاة ص ١٢) قال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفرلكم ذنوبكم والله غفور رحيم (آل عمران ٣١) فمحبته واتباعه ﷺ خلاصة الامر كله .

والدليل على ما قلنا من أن حقيقة الوسيلة الشرعية انما هى عبادة الله وحده واتباع هداه وهدى رسوله آيات وأحاديث خارجة عن نطاق البيان اكتفى هنا منها بنبذة يسيرة .

قال تعالى : الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقنهم ينفقون . والذين يؤمنون بما انزل إليك وما انزل من قبلك ، وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (البقرة) فجعل الله تعالى الايمان بالمبدأ والمعاد وتصديق الرسل وما جاءوا به من الكتب والعبادة البدنية والعبادة المالية ذريعة للفلاح المطلق وعلة له وحكم بأن الموصوفين بتلك الصفات انما هم على هدى من ربهم فليس من عداهم إلا على ضلالة فأولئك لهم الأمن وهم مهتدون فدل على أن الوسيلة الشرعية إنما هى تلك الاعتقادات الحقة والأعمال الصالحة .
وقال تعالى وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنت تجرى من تحتها الانهار (الآية بقره ٢٥) . وقال فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم

تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ــ (الأنعام : ٨٣) .

وقال ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذ عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون . (بقرة : ١٧٧)

وقال القاضى : هذه الآيات كما ترى جامعة للكمالات الانسانية بأسرها دالة عليها صريحا أو ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة فى ثلاثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير إلى الأول بقوله من آمن إلى . والنبيين وإلى الثانى بقوله وآتى المال إلى وفى الرقاب وإلى الثالث بقوله وأقام الصلاة إلى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظراً إلى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبار المعاشرة بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق وإليه اشار بقوله عليه الصلاة والسلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان اه . تفسير أنوار التنزيل (ص ١٢٥) . وقال تعالى ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم . سبأ (ص ٤) . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا . (كهف ص ١٠٧) . وقال من عمل من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب . (المؤمن ص ٤٠) وقال إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون، والذين فى أموالهم حق للسائل والمحروم، والذين يصدقون بيوم الدين

والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مأمون . والذين هم لفروجهم حافظون إلا على ازواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشاداتهم قائمون ، والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك فى جنات مكرمون (سورة المعارج ٣٢-٣٥) . وقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم . (بقره : ٢١٨) .

وقال تعالى : والعصر إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (سورة العصر) . فهذه وأمثالها من الآيات تدل على أن الوسيلة هى الاعمال التى ورد بها الشرع بعد الايمان والاعتقاد الحق بالمبدأ والمعاد ومعرفة الخالق من المخلوق والاله من المألوه والتصديق بالرسل وما جاءوا به فهذا كتاب الله ينطق عليكم بالحق فالحسرة كل الحسرة على الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتخذوا من دونه اولياء يتحاكمون إلى الطاغوت وقد امروا أن يكفروا به قال تعالى اتبعوا ما انزل إليكم من ربكم ولا تتخذوا من دونه اولياء (الاعراف : ٣) . وأما الأحاديث فى هذا الباب فأيضاً أكثر من أن تحصى روى عن معاذ رض . قال قلت يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار قال : لقد سألت عن امر عظيم وانه يسير على من يسره الله تعالى عليه تعبدالله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار وصلاة الرجل فى جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم

عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال ألا أدلك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا نبي الله فأخذ بلسانه فقال كف عليك هذا فقلت يا نبي الله انا لمؤاخذون بما نتكلم به قال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو على مناخرهم الا حصائد السنتهم . أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه (مشكاة ص ١٥) وأقوال الصحابة والسلف الصالحين رض فى هذا المعنى كثيرة جداً وقد فسرو الوسيلة فى القرآن بما قلنا .

قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة أى تقربوا اليه بطاعته والعمل بما يرضيه (ص ٥٢ ، ج ٢) . وقال الشوكانى عطف وابتغوا اليه الوسيلة على يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله . يفيد ان الوسيلة غير التقوى وقيل هى التقوى لأنها ملاك الامر وكل الخير فتكون الجملة الثانية على هذا مفسرة للجملة الاولى والظاهر أن الوسيلة التى هى القربة تصدق على التقوى وعلى غيرها من خصال الخير التى يتقرب العباد بها إلى ربهم وقال وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة فى قوله . وابتغوا إليه الوسيلة قال تقربوا إلى الله بطاعته والعمل بما يرضيه اه . (فتح القدير ص ٣٦ ، ج ٦) وقال فى قوله تعالى يبتغون إلى ربهم الوسيلة والوسيلة القربة بالطاعة والعبادة أى يتضرعون إلى الله فى طلب ما يقربهم إلى ربهم . (فتح القدير ص ٢٢٨ ، ج ٣) وقال البيضاوى فى تفسير سورة المائده أى ما يتوسلون به إلى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصى (ص ٩٦ ، ج ٢) وقال فى قوله تعالى يبتغون إلى ربهم الوسيلة . هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله القربة

بالطاعة أى يبتغى من هو أقرب منهم إلى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب (ص ٣٣٧) ونحوه فى تفسير النسفى (ص ٢٢١ ، ج ١) وتفسير أبى السعود على هامش تفسير الرازى (ص ٤١٤ ، ج ٣ و ص ٤٣٧ ، ج ٦) .

وقال الامام الرازى اعلم أن مجامع التكاليف محصورة فى نوعين لا ثالث لهما احدهما ترك المنهيات وإليه أشار بقوله اتقوا وثانيهما فعل المأمورات واليه الاشارة بقوله وابتغوا إليه الوسيلة إلى أن قال . إذا عرفت هذا فنقول أن الترك والفعل معتبران فى ظاهر الافعال فالذى يجب تركه هو المحرمات والذى يجب فعله هو الواجبات ومعتبران أيضاً فى الاخلاق فالذى يجب حصوله هو الأخلاق الفاضلة والذى يجب تركه هو الاخلاق الذميمة ومعتبران أيضاً فى الافكار فالذى يجب فعله هو التفكر فى الدلائل الدالة على التوحيد والنبوة والمعاد والذى يجب تركه هو الالتفات إلى الشبهات ومعتبران أيضاً فى مقام التجلى فالفعل هو الاستغراق فى الله والترك هو الالتفات إلى غير الله تعالى . وقال أيضاً فكان المراد طلب الوسيلة فى تحصيل مرضاته وذلك بالعبادات والطاعات .

وقال أيضاً فى وجه نظم هذه الآية بما قبلها كانه قيل قد عرفتم كمال جسارة اليهود على المعاصى والذنوب وبعدهم عن الطاعات التى هى الوسائل للعبد إلى الرب فكونوا أيها المؤمنون بالضد من ذلك وكونوا متقين عن معاصى الله متوسلين إلى الله تعالى بطاعات الله مفاتيح الغيب (ص ٣٩٩ ، ج ٣) وقال فى تفسير سورة بنى اسرائيل . اعلم أن المقصود من هذه الآية الرد على المشركين وقد ذكرنا أن المشركين كانوا يقولون ليس لنا اهلية أن نشتغل بعبادة الله تعالى فنحن نعبد بعض

المقربين من عباد الله وهم الملائكة ثم انهم اتخذوا لذلك الملك الذى عبدوه تمثالاً وصورة واشتغلوا بعبادته على هذا التأويل والله تعالى احتج على بطلان قولهم فى هذه الآية فقال قل أدعوا الذين زعمتم من دونه وليس المراد الاصنام لانه تعالى . قال فى صفتهم أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة وهو لا يتصور من الاصنام فأحتج الله على فساد مذهب هؤلاء أن الاله المعبود هو الذى يقدر على ازالة الضرر وإيصال المنفعة وهذه الاشياء التى يعبدونها وهى الملائكته والجن والمسيح وعزير لا يقدرون على كشف الضرر ولا على تحصيل النفع فوجب القطع بأنها ليست آلهة .

وقال الفراء يدعون فعل الآدميين العابدين وقوله يبتغون فعل المعبودين ومعناه أن أولئك المعبودين يبتغون إلى ربهم الوسيلة فانه لا نزاع أن الملائكة يرجعون الى الله فى طلب المنافع ودفع المضار ويرجون رحمته ويخافون عذابه (ص ٤١١ ، ج ٥) وقال : الذين عظمت منزلتهم عند الله لا يعبدون الا الله تعالى ولا يبتغون الوسيلة الا اليه فأنتم بالاقتداء بهم أحق فلا تعبدوا غير الله (ص ٤١١ ، ج ٥) . وقال صاحب المنار وأما القول الجملى الجامع فهو أن الوسيلة ما تتقرب به الى الله تعالى وترجو أن تصل به الى مرضاته وهو ما شرعه لك لتزكية نفسك اذ جعل مدار الفلاح على تزكيتها والتوسل هو ابتغاء الوسيلة المأمور به هنا أى العمل بالمشروع لتزكية النفس وقد دل كتاب الله فى جملته وتفصيله على أن مدار النجاة والفلاح على الايمان والعمل (وأن ليس للانسان الا ماسعى : وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى) يوم تجزى كل نفس بما تسعى هل تجزون الا ما كنتم تعملون (تفسير المنار ص ٣٧٦ ، ج ٦) .

وقال الراغب حقيقة الوسيلة الى الله مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحرى مكارم الشريعة وهى كالقربة تفسير المنار (ص ٣٦٩ ، ج ٦) والتفسير الماجدى (ص ٢٥١) . وقال على بن أحمد المهائمى فى قوله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة ، من الاعتقادات الصحيحة والاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة (تبصير الرحمن ص ١٨٧ ، ج ١) وقال الجلال السيوطى . ما يقربكم اليه من طاعته تفسير الجلالين على هامش الجمل (ص ٤٨٨ ، ج ١) . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية فعلى كل احد أن يؤمن به . أى بمحمد ﷺ وبما جاء به ويتبعه فى باطنه وظاهره والايمان بـه ومتابعته هو سبيل الله وهو دين الله وهو عبادة الله وهـو طـريق اولـيـاء الله وهـو الوسيلة التى امر الله بـهـا عـبـاده فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة فابتغاء الوسيلة إلى الله انمـا تـكون لمن توسل إلى الله بالايمان بمحمد وأتباعه وهذا التوسل بالايمان به وطاعته فرض على كل أحد فى كل حال باطناً وظاهراً فى حياة رسول الله ﷺ وبعد موتـه فى مشهده ومغيبه لا يسقط التوسل بالايمان بـه وبطاعته عن أحد من الخلق فى حال من الأحوال بعد قيام الحجة عليه ولا بعذر من الاعـذار ولا طريق إلى كرامة الله ورحمته والنجاة من هوانـه وعـذابـه إلا التوسل بالايمان بـه وبطاعته (القاعدة الجليلة ص ٣٠٢) .

وقال الإمام البغوى فى التفسير ــ أى القربة فعيله من توسل إلى فلان بـكذا أى إذا تقرب إليه وجمعها وسائـل (ص ٢٧٩ ، ج ١) . وقال فى تفسير آية بنى اسرائيل أى يطلبون إلى ربهم الوسيلة أى القربـة وقيل الدرجة أى يتضرعون إلى الله فى طلب الدرجة العليا وقيل الوسيلة

كل ما يتقرب إلى الله تعالى (ص ١٩٦ ، ج ٢) . وقال العلامة الآلوسى هى فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب إلى الله عز وجل من فعل الطاعات وترك المعاصى من وسل إلى كذا أى تقرب إليه بشىء وأخرج ابن الانبارى وغيره عن ابن عباس رض أن الوسيلة الحاجة وأنشد له قول عنزة :

إن الرجـال لهم إليك وسيلة

أن يأخذوك تـكحلى وتخضبى

وكان المعنى اطلبوا متوجهين إليه حاجـكم[١] فان بيده عز شانـه مقاليد السماوات والأرض ولا تطلبوها متوجهين إلى غيره فتـكونوا كضعيف عاذ بقرملة[٢] وفسر بعضهم الوسيلة بمنزلة فى الجنة وكونها بهذا المعنى غير ظاهر لاختصاصها بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام على ما رواه مسلم وغيره انها منزلة فى الجنة جعلها الله تعالى لعبد من عبـاده وأرجو أن أكون أنا فاسألوا الوسيلة وكون الطلب هنا للنبى ﷺ مما لا يكاد يذهب إليه ذهن سليم (روح المعانى ص ١٢٤ ، ج ٦) وقال العينى فى شرح البخارى يبتغون إلى ربهم الوسيلة أى الـزلفة والقربة عمدة القارى (ص ٢٩ ، ج ١٩) .

وقال السيوطى فى تفسير الوسيلة أى مـا يقربـكم إليه من طاعته جلالين ، وقال فى تفسير آيـة بنى اسرائيل القربة بالطاعة وقال الزمخشرى الوسيلة كل ما يتوسل به أى يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك فاستعيرت لما يتوصل بـه إلى الله تعالى من فعل الطاعـات

....

١- جمع حاجة .

٢- شجر ضعيف لا شوك له .

وترك المعاصى وأنشد للبيد ـ أرى الناس لا يدرون ما قدر امرهم ـ الا كل ذى لب إلى الله واسل (تفسير كشاف ص ٦١٠ ، ج ١) مائدة .

وقال فى التفسير الحسينى وكلمة جامعة درين باب آنست كه وسيله كلى در تقرب بحضرة الهى ملاحظة .

«اوامر ونواهى است و در لطائف قشيرى ميگويد كه وسيله تجريد اعمال است» . از ريا و تفريد احوال است از عجب و تخليص انفاس از طلب حظوظ (ص ١٨٣ مائده) .

وقال فى تفسير قوله تعالى يبتغون الى ربهم الوسيلة يعنى «تقرب ميكند بطاعت و عبادت (ص ٤٨٢) .

اقول فثبت أن حقيقة الوسيلة الشرعية هى التى فسرها القرآن بسائر آيات التكليف وأحاديث الرسول ﷺ وألسنة المرضية والمفسرون من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من المتأخرين وهى التى ابتغاها الانبياء والصالحون ولا ريب أن الوسيلة المبتغاة للأنبياء والصالحين انما هى توحيد الله تعالى وطاعته ومحبته وخشيته والرجاء منه .

فلله الحمد والمنة .

الوجه الثالث من الكلام على التوسل

اعلم أن التوسل ينقسم أولا إلى قسمين : **الاول** هو التوسل الشرعى الذى ورد به السنة القولية والفعلية وجرى عليه عمل الصحابة والتابعين ومن تبعهم من السلف الصالحين . والثانى غير الشرعى الذى بخلاف القسم الاول ثم التوسل الشرعى ينقسم إلى قسمين احدهما

التوسل للدعاء والثانى التوسل فى الدعاء وإن شئت قلت توسل فى الواقع ونفس الأمر والمعنون وتوسل فى الكلام والتعبير والعنوان أو توسل فى المحكى وتوسل فى الحكاية .

أما التوسل للدعاء وهو التوسل إلى الله بحسب الخارج والواقع مع قطع النظر عن التكلم والتلفظ فانما هو التقرب إليه تعالى بأمرين احدهما اعتقادى والآخر عملى أما الاعتقادى فمعرفة عزة الربوبية وذلة العبودية واعتقاد السلطة الغيبية لله تعالى وانه إن الحكم الا لله وله الخلق والامر كله وهو الغنى وكل سواه فقير وهو الرب على الاطلاق وكل سواه مربوب وهو الإله الحق المستحق لجميع أصناف العبادات والكل سواه عباد وعبيد واعتقاد كل ما يقتضيه الوجوب الذاتى من صفات الكمال ونعوت الجبروت وبالجملة اعتقاد كل ما ورد الشرع المستفيض باتصافه به واستحقاقه له من الصفات والافعال والحقوق .

وأما العملى فهو الانقياد لحكمه عملاً بامتثال ما امر به والاتقاء عما نهى عنه من الفواحش والمنكرات وبالجملة فالتوسل للدعاء هو التقرب الى الله بالوسيلة الشرعية التى مر تفصيلها من الاعتقادات الحقة والاعمال الصالحة .

وأما التوسل فى الدعاء وهو التقرب إلى الله تعالى وقت المسئلة وعرض المقصود فأيضاً قسمان أحدهما بحسب التعقل . والثانى بحسب التلفظ والكلام أما ما هو بحسب التعقل فهو استحضار عزة الربوبية وذلة العبودية وأنه إن يمسسك الله بضر فلا كاشف له وإن يردك بخير فلا راد لفضله .

قال الفخر الرازى ثم ان لتلك الدعوة شرائط كثيرة مذكورة

بالاستقصاء فى كتاب المنهاج لأبي عبدالله الحليمى وأحسن ما فيه أن يكون مستحضراً لأمرين احدهما عزة الربوبية . والثانى ذلة العبودية فهناك يحسن ذلك الدعاء ويعظم موقع ذلك الذكر فأما إذا لم يكن كذلك كان قليل الفائدة وانا اذكر لهذا المعنى مثالا وهو أن من أراد أن يقول فى تحريمة الله أكبر فانه يجب أن يستحضر فى النية جميع ما امكنه من معرفة آثار حكمة الله فى تخليق جميع الناس وجميع الحيوانات وجميع أصناف النبات والمعادن والآثار العلوية من الرعد والبرق والصواعق التى توجد فى كل اطراف العالم ثم يستحضر آثار قدرته فى خلق الأرضين والجبال والبحار والمفاوز ثم فى تخليق اطباق العناصر السفلية والعلوية ثم فى اطباق السموات على سعتها وعظمها واجرام النيرات من الثوابت والسيارات ثم فى تخليق الكرسى وسدرة المنتهى ثم فى تخليق العرش العظيم المحيط بكل هذه الموجودات ثم فى تخليق الملائكة من حملة العرش والكرسى وجنود عالم الروحانيات فلا يزال يستحضر من هذه الدرجات والمراتب اقصى ما يصل إليه فهمه وعقله وذكره وخاطره وخياله ثم عند استحضار جميع هذه الروحانيات والجسمانيات على تفاوت درجاتها وتباين منازلها يقول الله اكبر ويشير بقوله الله إلى الموجود الذى خلق هذه الاشياء وبقوله اكبر إلى أنه لا يشبه لكبريائه وجبروته هذه الاشياء بل هو اكبر من هذه الأشياء التفسير الكبير (٣٢٤ ، ج ٤) فهذا هو التوسل النفسى وأما ما هو بحسب التلفظ والتعبير .

فهو أن يذكر فى دعائه ما يتقرب به إلى الله تعالى وهذا التوسل أيضاً أقسام احدها التوسل باسماء الله وصفاته بأن يذكر فى دعائه اسماء الله تعالي وصفاته المناسبة أو يقسم على الله بها .

والثانى : التوسل بذكر العبدية والعبودية والتذلل والتسفل .

والثالث : التوسل بذكر الفقر والفاقة والشدة والكربة .

والرابع : بذكر ما سبق للداعى من المدعو منه وما عوده به من النعم السابقة وأجابة مسئوله فيما مضى .

والخامس : التوسل إليه بنعمه واحسانه إلى من انعم عليه بأن يقول انك انعمت على فلان وفلان وسجيتك الاكرام والإنعام فانعم على أيضاً .

والسادس : التوسل بذكر الموعدة والاطماع بأنك قد وعدتنى وأطمعتنى فأوف بما وعدتنيه .

والسابع : التوسل بذكر الاعمال الصالحة والعبادات المخلصة له تعالى بانى فعلت لرضاك كذا وكذا فارحمنى وأجب مسئلتى .

والثامن : التوسل بدعاء من يرجى استجابة دعائه من نبى أو عبد صالح أو الوالدين أو مسافر أو مريض أو غيرهم باستشفاعهم وطلب الدعاء منهم وذلك لان لاستجابة الدعاء شرائط كثيرة قد يكون الداعى غير مستجمع لها فيحسن التوسل بدعاء من يكون فيه شرائط قبول الدعاء ومعرفة آداب الدعاء على وجه الكمال .

والتاسع : التوسل باشراك غيره من ذوى الحاجة معه فى الاستغاثة والدعاء وخلط حاجته بحاجتهم .

والعاشر : التوسل فى الدعاء بالصلاة على النبى ﷺ .

والحادي عشر : التوسل باضافة الرب إلى عباده الصالحين .

وإذا عرفت هـذا الإجمال فالآن اذكر نبذة من امثلة كل واحـد منها فأقول أما الاقسام الثلاثة الاول فـكما أخرج الترمذى (ص ١٨٥، ج ٢) وأبو داؤد (ص ٢٠٩ ، ج ١) كتاب الصلاة وابن ماجـة (ص ٢٨٢) . باب الاسم الأعظم عن عبدالله بن بريـدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول اللهم أنى أسئلك انى اشهد انك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يـكن له كفوا أحد فقال لقد سألت الله بالاسم الذى إذا سئل به اعطى وإذا دعى بـه أجاب . وأخرج أبو داؤد (ص ٢١٠ ، ج ١) والترمـذى (ص ١٩٣ ، ج ٢) الـدعوات وابن ماجة (ص ٢٨٣) عن انس رض أنـه كان مع رسول الله ﷺ جالسا ورجـل يصلى ثم دعا اللهم انى اسألك بـأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بـديـع السموات والأرض يا ذاالجلال والإكـرام يا حى يا قيوم فقال النبى ﷺ لقد دعا الله باسمه العظيم إذا دعى به اجاب وإذا سئل به اعطى .

وأخرج الترمذى عن أبى هريرة رض قال جاءت فاطمة إلى النبى ﷺ تسأله خـادما فقال لها قولى اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شىء منزل التوراة والإنجيل والقرآن فالق الحب والنوى أعوذ بك من شر كل شىء أنت آخـذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شىء وأنت الآخر فليس بعدك شىء وأنت الظاهر فليس فوقك شىء وأنت الباطن فليس دونك شىء اقض عنى الدين واغننى من الفقر (ص ١٨٦ ، ج ٢) .

وأخرج الطبرانى فى الكبير من حديث معاوية رض قال سمعت رسول الله ﷺ يقـول من دعـا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئاً

إلا اعطاه لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وأخرج الترمذى عن معاذ بن جبل قال سمع النبى ﷺ رجلا يقول يا ذاالجلال والاكرام فقال قد استجيب لك فسل . تحفة الذاكرين للشوكانى (ص ٥٨) . فهذه الأحاديث وأمثالها تدل على أن السؤال والدعاء بتوسل ذكر صفات الله تعالى وأسمائه والثناء عليه أقرب الى الاجابة وقال الإمام ابن تيمية" وسؤال الله تعالى بأسمائه وصفاته كقولك أسألك بأن لك الحمد أنت الله المنان بديع السموات والأرض وبأنك أنت الله إلاحد الصمد الذى لم يلد ولم يكن له كفواً أحد ونحو ذلك . اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٩٩) . وقال تعالى ارشاداً لعباده طريق المسئلة والدعاء الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم . فان من اسماء هذه السورة الدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها على ذلك قاله البيضاوى (ص ٣) فنى هذه السورة ذكر أولاً حمده تعالى والثناء عليه ونعوت كماله وهذا حال المسئول منه ثم توسل بحال الداعى وهو العبودية والافتقار من اياك نعبد . ثم صرح بالمطلوب وهو الهداية . ففيه ارشاد الى أن آداب الدعاء أن يتوسل الداعى بنعوت كمال المدعو منه وبعبدية الداعى وفقره وفاقته وهذا كما هو مثال للقسم الاول كلك مثال للثانى منها قال البيضاوى قدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رءوس الآى ويعلم منه أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة تفسير بيضاوى (ص ٩) . وقال الشوكانى قدمت العبادة على الاستعانة لكون الاولى وسيلة الى الثانية وتقديم الوسائل سبب لتحصيل

المطالب (فتح القدير ص ١٢ ، ج ١) . وقال الحافظ ابن القيم ولما كان سؤال الهداية الى الصراط المستقيم أجل المطالب ونيله أشرف المواهب علم الله عباده كيفية سؤاله وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه وتمجيده ثم ذكـر عبوديتهم وتوحيدهم فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم توسل إليه بأسمائه وصفاته وتوسل إليه بعبوديته وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء (التفسير القيم ص ٣٢) . وقال وقد جمعت الفاتحة الوسيلتين وهما التوسل بالحمد والثناء عليه وتمجيده والتوسل إليه بعبوديته وتوحيده ثم جـاء سؤال أهم المطالب وأنجح الرغائب (ص ٢٤) . وأخرج البخارى فى صحيحه عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ولقاءك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خـاصمت واليك حاكمت فاغفرلى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت (ص ١٥١ ، ج ١) التهجد : والموطأ للامام مالك (ص ٧٥) . قال ابن القيم فذكر التوسل إليه بحمده والثناء عليه وبعبوديته له ثم سأله المغفرة (التفسير القيم ص ٢٤) . وقال تعالى ربنا مـا خلقت هـذا باطلا سبحانك فقنا عـذاب النار (آل عمران : ١٩١) . وأخرج أحمد عن عبدالله بن مسعود أنـه قال النبى ﷺ ما اصاب احدا قط هم ولا حزن فقال اللهم انى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عـدل فى قضاءك أسألك بكل اسم هو لك سميت بـه نفسك أو انزلته فى كتابك أو علمته احداً من خلقك أو استأثرت بـه فى عـلم الغيب عندك أن تجعل القرآن

العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله حزنه وهمه وابدل مكانه فرحاً فقيل يا رسول الله أفلا نتعلمها فقال بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها (تفسير ابن كثير ص ٢٦٩ ، ج ٢) .

قال الحافظ ابن القيم فتضمن هذا الحديث العظيم أمورا من المعرفة والتوحيد والعبودية منها أن الداعي به صدر سؤاله بقوله انى عبدك ابن عبدك ابن امتك وهذا يتناول من فوقه من آبائه وامهاته الى أبويه آدم وحوا وفي ذلك تملق له واستخذاء[1] بين يديه واعترافه بأنه مملوكه وآبائه مماليكه وأن العبد ليس له غير باب سيده وفضله واحسانه وان سيده أن أهمله وتخلى عنه هلك ولم يؤوه احد ولم يعطف عليه بل يضيع أعظم ضيعة وتحت هذا الاعتراف انى لا غنى بي عنك طرفة عين وليس لي من أعوذ به والوذ به غير سيدي الذي انا عبده وفي ضمن ذلك الاعتراف بأنه مربوب مدبر مأمور منهي انما يتصرف بحكم العبودية لا بحكم الاختيار لنفسه فليس هذا شان العبد بل شان الملوك والاحرار وأما العبيد فتصرفهم على محض العبودية فهؤلاء عبيد الطاعة المضافون إليه تعالى في قوله أن عبادي ليس لك عليهم سلطان وقوله وعباد الرحمن الذين يمشون هونا . ومن عداهم عبيد القهر والربوبية فاضافتهم إليه كاضافة سائر البيوت إلى ملكه واضافة أولئك كاضافة البيت الحرام إليه تعالى واضافة ناقته إليه وداره التي هي الجنة إليه واضافة عبودية رسوله إليه بقوله وانه لما قام عبدالله يدعوه . وفي التحقيق معنى قوله انى عبدك التزام عبوديته من الذل والخضوع والانابة وامتثال امر سيده واجتناب نهيه ودوام الافتقار اليه واللجاء اليه والاستعانة به والتوكل

١- الاستخذاء بالخاء المعجمة الكسار واسترخاء منه .

عليه وعياذ العبد به ولياذه به وأن لا يتعلق قلبه بغيره محبة وخوفا ورجاء وفيه أيضاً انى عبد من جميع الوجوه صغيراً أو كبيراً حيا وميتاً مطيعا وعاصيا معافى ومبتلى بالروح والقلب واللسان والجوارح وفيه أيضاً أن مالى ونفسى ملك لك فان العبد وما يملكه لسيده وفيه أيضاً . إنك أنت الذى مننت على بكل ما انا فيه من نعمة فذلك كله من انعامك على عبدك (إلى أن قال) وقوله بكل اسم لك إلى آخره توسل إليه باسمائه كلها ما علم العبد منها وما لم يعلم وهذه أحب الوسائل إليه فانها وسيلة بصفاته وأفعاله التى هى مدلول اسمائه : الفوائد لابن القيم (ص ٢٢-٢٦) وهكذا فى زاد المعاد بهامش الزرقانى على المواهب (ص ٥٠ ، ج ٦) .

وأخرج ابن ماجة عن عائشة رض قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول اللهم انى اسئلك باسمك الطاهر الطيب المبارك الاحب اليك الذى اذا دعيت به اجبت واذا سألت به اعطيت واذا استرحمت به رحمت واذا ستفرجت به فرجت قالت وقال ذات يوم يا عائشة هل علمت أن الله قد دلنى على الاسم الذى اذا دعى به أجاب فقلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى فعلمنيه قال أنه لا ينبغى لك يا عائشة قالت فنحيت وجلست ساعة ثم قمت فقبلت رأسه ثم قلت يا رسول الله علمنيه قال أنه لا ينبغى لك يا عائشة أن اعلمك أنه لا ينبغى لك أن تسألين به شيئاً من الدنيا قالت فقمت فتوضأت ثم صليت ركعتين ثم قلت اللهم انى ادعوك الله وادعوك الرحمن وادعوك البر الرحيم وادعوك بأسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم أن تغفرلى وترحمنى فاستضحك رسول الله ﷺ ثم قال أنه لفى الأسماء التى دعوت بها . ابن ماجه (ص ٢٨٣) .

وقال تعالى حكايةً عن يوسف عليه السلام أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين (يوسف ص ١٠١) . قال ابن القيم جمعت هذه الدعوة الاقرار بالتوحيد والاستسلام للرب واظهار الافتقار اليه والبراءة من موالاة غيره سبحانه . (التفسير القيم ص ٣١٨) . وقال تعالى وأيوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين . (سورة الانبياء ص ٨٣) . ففى هذه الدعوة توسل باعتراف التوحيد واظهار الفقر والفاقة والاقرار له بصفة الرحمة قال ابن القيم جمع فى هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد واظهار الفقر والفاقة الى ربه ووجود طعم المحبة فى التملق له والاقرار له بصفة الرحمة وأنه أرحم الراحمين والتوسل اليه بصفاته سبحانه وشدة حاجته وفقره ومتى وجد المبتلى هـذا كشفت عنه بلواه وقـد جرب أنـه من قالها سبع مـرات ولا سيما مع هذه المعرفة كشف الله ضره . التفسير القيم (ص ٣٦٤) . وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام رب انى لما انزلت الى من خير فقير (قصص : ٢٤) ففيه توسل بالفقر والحاجة كما لا يخفى وأمثال هـذا فى القرآن والحديث كثيرة جدا وفيما ذكرنا كفايـة .

وأما التوسل بذكر سابق النعم والاكرام فـكما فى دعاء زكـريا عليه السلام .

قال تعالى ذكر رحمت ربك عبده زكريا ـ اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ولم اكن بدعائك رب شقيا . (سورة مريم : ٢ـ٤) فقوله لم اكن بدعاءك رب شقيا توسل اليه بذكر ما انعم عليه باجابته المسئول قبل ذلك والمعنى انك عودتنى اجابة الدعاء واسعاف المرام ولم تشقنى بالرد والحرمان فهذا توسل اليه بما سلف من اجابته واحسانه .

وأما القسم الخامس وهو التوسل اليه بنعمه واحسانه الى غيره فنحو قوله تعالى اهـدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم . فهذا توسل اليه بانعامه على من غيره والمعنى انك انعمت على اغيارى وشيمتك الإنعام بالهداية وغيرها فاجعل لهذا العبد أيضاً نصيباً من ذلك الفضل والإنعام وكما فى دعاء القنوت المأثور اللهم اهدنى فيمن هديت وعافنى فيمن عافيت وتولنى فيمن توليت الخ . ففيه أيضاً توسل بانعامه الى غير هذا السائل أى اجعلنى من هذه الزمرة واجعلنى رفيقاً لهم قال ابن القيم فى فوائد هذا القنوت والفائدة الثانية أنه توسل الى الله بنعمه واحسانه الى من انعم عليه بالهداية أى قد انعمت بالهداية على من هديت وكان ذلك نعمة منك فاجعل لى نصيبا من هذه النعمة واجعلنى واحدا من هؤلاء المنعم عليهم فهو توسل الى الله باحسانه . التفسير القيم (ص ٢٢) .

وأما القسم السادس وهو التوسل بذكر الوعد فنحو قوله تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد . (آل عمران : ١٩٤) . فهذا دعاء المؤمنين وقد توسلوا فى دعائهم بما وعده تعالى على لسان الرسل وقد استجاب الله تعالى دعائهم حيث قال فاستجاب لهم ربهم إنى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى الآية قال العينى وفيه سؤال الرب جل جلاله بانجاز وعده قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا وقال ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا عمدة القارى (ص ٥٧٤ ، ج ٥) .

وأما القسم السابع وهو التوسل بـذكر الطاعـة والانقياد للحكم وصالح أعماله فـكما فى هذه الآية ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمـان

أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفرلنا ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا وتوفنا مع الابرار (آل عمران : ص ١٩٣) . ففيه توسل إلى الله تعالى بقبول دعوته وانقياد حكمه وتسليم سلطته وملكه .

وروى عن عبدالله بن عمر أنه قال قال رسول الله ﷺ بينما ثلاثة نفر يمشون فاخذهم المطر فأووا إلى غار فى جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعله يفرجها عنكم فقال اللهم كان لى والدان شيخان كبيران ولى صبية صغار ارعى عليهم فاذ ارحت عليهم حلبت فبدأت بوالدى وسقيتهما قبل بنى وانى نأى بى ذات يوم الشجر فلم آت حتى امسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت احلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤسهما اكره أن أوقظهما واكره أن اسقى الصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمى فلم يزل ذلك أبى ودابهم حتى طلع الفجر فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء قال الثانى اللهم انه كانت لى بنت عم احبها كاشد ما يحب الرجال النساء فطلبت اليها نفسها فابت حتى آتيها بمائة دينار فسعيت حتى جمعت مائة دينار فلقيتها بها فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفتح الخاتم فقمت عنها اللهم فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها ففرج لهم فرجة وقال الآخر اللهم إنى كنت استأجرت اجيراً بفرق ارز فلما قضى عمله قال اعطنى حقى فعرضت عليه حقه فتركه ورغب عنه فلم ازل ازرعه حتى جمعت منه بقرا وراعيها فجاءنى فقال اتق الله ولا تظلمنى وآتنى حقى فقلت اذهب الى ذلك البقر

وراعيها فقال اتق الله ولا تهزأ بي فقلت انى لا استهزأ بك فخذ ذلك البقر وراعيها فأخذه فانطلق بها فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج ما بقى ففرج الله عنهم (صحيح المسلم ص ٣٥٣ ، ج ١) والبخارى (ص ٢٩٤ ، ج ١ وص ٣٤١ ، ج ١وص ٣١٣ ، ج ١ وص ٨٨٣ ، ج ٢) (والمشكاة ص ٤٢٠) .

قال النووى استدل أصحابنا بهذا على أنه يستحب للانسان أن يدعو فى حال كربه وفى دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ويتوسل إلى الله تعالى به لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم وذكره النبى ﷺ فى معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم (ص ٣٥٣ ، ج ١) .

وقال العينى وفيه أنه يستحب الدعاء حال الكرب والتوسل بصالح العمل إلى الله تعالى كما فى الاستسقاء (عمدة القارى ص ٥٧٤ ، ج ٥) . وكذا فى حاشية المشكاة نقلا عن المرقاة (ص ٤٢١) . وكذا قال الشيخ فى اشعة اللمعات (ص ١١٩ ، ج ٤) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية فهؤلاء دعوا الله تعالى بصالح الاعمال لأن الاعمال الصالحة هى أعظم ما يتوسل به العبد إلى الله تعالى ويتوجه به إليه ويسأله به لانه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وقال ربكم ادعونى استجب لكم وهؤلاء دعوه بعبادته وفعل ما امر به من العمل الصالح وسؤاله والتضرع إليه ومن هذا ما يذكر عن الفضيل بن عياض أنه أصابه عسر البول فقال بحبى إياك الاما فرجت عنى . ففرج عنه وكذلك دعاء المرأة المهاجرة التى احيا الله ابنها لما قالت اللهم انى آمنت بك وبرسولك وهاجرت فى سبيلك وسألت الله أن يحيي ولدها — وأمثال ذلك .

وهذا كما قال المؤمنون (٣-١٩٣) ربنا إننا سمعنا منادیا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فامنا ربنا فاغفرلنا ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا وتوفنا مع الابرار . ربنا وأتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد . فسؤال الله تعالى والتوسل إليه بامتثال امره واجتناب نهيه وفعل ما يجب من العبودية والطاعة هو من جنس فعل ذلك رجاء من رحمة الله وخوفا من عذابه . اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٤١٧-٤١٨) . وأخرج ابن جرير عن محارب بن دثار قال كان عمر يأتى المسجد فيسمع انسانا يقول اللهم دعوتنى فاجبت وامرتنى فأطعت وهذا السحر فاغفرلى قال فأستمع الصوت فاذا هو من دار عبدالله بن مسعود (تفسير ابن كثير ص ٤٩٠ ، ج ٢) .

وأما القسم الثانى وهو التوسل إلى الله تعالى بدعاء الغير فهو أن يطلب من احد حى أن يسأل له الله تعالى كشف كربته عنه ودفع حاجته وأمثلته كثيرة من القرآن والحديث اذكر هنها نبذة منها قال تعالى قالوا يا أبانا استغفرلنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفرلكم ربى إنه هو الغفور الرحيم يوسف ٩٧-٩٨ . فانهم قد توسلوا فى طلب المغفرة من الله تعالى بدعاء ابيهم يعقوب . وقال تعالى ولو انهم إذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفرلهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما (نساء : ٦٤) . قال ابن كثير يرشد تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول ﷺ فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفرلهم فانهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم (ص ٥١٩ ، ج ١) . وقال الشوكانى : ولو انهم إذ ظلموا أنفسهم بترك طاعتك والتحاكم إلى غيرك - جاءوك - متوسلين اليك متنصلين عن

جناياتهم ومخالفاتهم . فاستغفروا الله لذنوبهم وتضرعوا اليك حتى قمت شفيعاً لهم فاستغفرت لهم (فتح القدير ص ٤٤٦ ، ج ١) .

وقال الرازى فى سبب نزوله المراد به من تقدم ذكره من المنافقين يعنى انهم عند ما ظلموا انفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت جاءوا إلى الرسول واظهروا الندم على ما فعلوه وتابوا عنه واستغفروا منه واستغفرلهم الرسول بأن يسأل الله تعالى أن يغفرلهم عند توبتهم لوجدوا الله توابا رحيما (مفاتيح الغيب ص ٢٥٣ ، ج ٣) .

وقال تعالى فاعف عنهم واستغفرلهم وشاورهم فى الامر (آل عمران ١٥٩) . وقال تعالى فاعلم أنه لا إله إلا انا واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات (محمد : ١٩) . وقال تعالى وصل عليهم أن صلوتك سكن لهم (توبه) .

وأما الاحاديث فروى عن زيد بن ارقم قال قالت الانصار يا نبى الله لكل نبى اتباع وإنا قد اتبعناك فادع الله أن يجعل اتباعنا منا فدعا به . (مشكاة ص ٤٨١) . وعن أبى هريرة رض أن النبى ﷺ قال : يدخل من امتى الجنة سبعون ألفا بغير حساب فقال رجل يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال اللهم اجعله منهم ثم قام آخر فقال يا رسول الله ادع الله لى أن يجعلنى منهم قال سبقك بها عكاشة (مسلم ص ١١٦ ، ج ١) ودارمى ص ٣٨١ — مشكاة ص ٤٥٢) . التوكل وعن عمر رض قال استأذنت النبى ﷺ فى العمرة فأذن لى وقال لا تنسنا يا أخى من دعائك . (جامع الترمذى ص ١٩٥ — وأبو داؤد ص ٢١٠ ، ج ١) . قال فى المرقات فيه حيث الامة على الرغبة فى دعاء الصالحين وأهل العبادة وتنبيه لهم على أن لا يخصوا أنفسهم بالدعاء هامش أبى داؤد

(ص ٢١٠ ، ج ١) . وعن عمر قال سمعت النبي ﷺ يقول خير التابعين رجل يقال له أويس فمروه فليستغفر لكم . صحيح مسلم بشرح النووى . وقال النووى فيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم (ص ٣١١ ، ج ٢) . وكذا فى حاشية (المشكاة ص ٥٨٢) واشعة اللمعات (ص ٧٤٩ ، ج ٤) .

وعن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة البخارى (ص ٨٦ ، ج ١) وتفسير ابن كثير (ص ٥٣ ، ج ٢) . والشوكانى (ص ٣٦ ، ج ٢) وابن ماجة (ص ٥٣) والطحاوى (ص ٧١، ج ١) والترمذى (ص ٢٩ ، ج ١) والنسائى (ص ٧٨ ، ج ١) ومسلم (ص ١٦٦ ، ج ١) وأبو داؤد (ص ٧٧ ، ج ١) .

قال العينى فان قلت قد وعده الله تعالى بالمقام المحمود فما الفائدة فى دعاء الامة بذلك قلت أما لطلب الدوام والثبات وأما للاشارة إلى جواز دعاء الشخص لغيره والاستعانة بدعائه فى حوائجه لا سيما من الصالحين . (عمدة القارى ص ٦٤١ ، ج ٢) . وأخرج الترمذى عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال أدع الله أن يعافينى قال إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك . الحديث (ص ١٩٧ ، ج ١) الدعوات والمشكاة (ص ٢٣٦) .

وعن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال اللهم انا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون (البخارى ص ١٣٧ ، ج ١ —

والمشكاة ص ١٤٥) . وجـه الاستدلال ظاهر فان العباس رض لما كان دعاءه اقرب إلى الاجابة فى نظر عمر جعله إماما فى الاستسقاء وشفيعا إلى الله .

قال العينى وفيه من الفوائـد استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهـل بيت النبوة (عمـدة القارى ص ٤٣٧ ، ج ٣) وفى المجالس . ويستحب للناس إذا كان فيهم رجـل مشهود بالصلاح أن يستسقو به ويقولو اللهم انا نستسقى ونستشفع إليك بعبدك بفلان اذ روى فى صحيح البخارى أن عمر بن الخطاب كان إذا قحط الناس الحديث (ص ٢٩٠) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رح . ولهذا قال الفقهاء يستحب الاستسقاء بأهل الخير والدين والأفضل أن يـكونو من بيت النبى ﷺ وقد استسقى معاوية بيزيـد بن الاسود الجرشى وقال اللهم انا نستسقى بيزيـد بن الاسود . يا يزيد ارفع يديك فرفـع يـديـه ودعا الناس حتى امطروا وذهب الناس . اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٩٨) . وهـكذا قال ابن حجر كما فى المرقات (ص ٣٣٩ ، ج ٣) . وفى الدر المختار ويستسقون بالضعفة والشيوخ والعجائز والصبيان قال الشامى أى يقدمونهم كما فى النهراى للدعاء والناس يؤمنون على دعائهم لأن دعائهم اقرب إلى الاجابة شامى (ص ٦٢٤ ، ج ١) . وأخرج الدارقطنى والحاكم من حديث أبي هريرة رض رفعه قال خرج نبي من الانبياء يستسقى فاذا هو بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء فقال ارجعوا فقد استجيب لـكم من أجل شان النملة وأخرج نحوه أحمد والطحاوى . نيل الاوطار للشوكانى (ص ٢٧ ، ج ٤) والمشكاة (ص ١٤٦ ، ج ١) ورد المحتار للشامى

(ص ٦٢٤ ، ج ١) . قال القارئ قيل وهذا النبي هو سليمان عليه السلام وانها وقعت على ظهرها ورفعت يديها وقالت اللهم أنت خلقتنا فان رزقتنا والا فاهلكنا وروى انها قالت انا خلق من خلقك لا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب بني آدم . مرقات (ص ٣٤٠ ، ج ٣) .

وروى أن رسول الله ﷺ قال لولا عباد الله ركع وصبية رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا . أخرجه أبو يعلى والبزار وأبو نعيم والبيهقي وابن عدى (نيل الاوطار ص ٢٧ ، ج ٤) .

وأخرج الترمذى وأبو داؤد والبزار والطبرانى وأحمد قال رسول الله ﷺ ثلاث دعوات لا شك فى اجابتها دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده . وأخرج أحمد والترمذى وابن ماجة من حديث أبي هريرة رض قال رسول الله ﷺ ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم .

وأخرج مسلم وغيره عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ ما من عبد مسلم يدعو لاخيه المسلم بظهر الغيب إلا قال الملك ولك مثل ذلك وأخرج أبو داؤد والترمذى عن عبدالله بن عمر رض قال قال رسول الله ﷺ إن أسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب راجع تحفة الذاكرين (ص ٥٦-٥٧) .

فهذه الآيات والأحاديث وأمثالها تدل دلالة بينة على جواز التوسل بل على استحباب التوسل بدعاء الغير بان يطلب منه الدعاء سواء كان ذلك الغير المتوسل بدعائه نبياً أو غيره فاضلا أو مفضولا بل انسانا أو غيره من الحيوانات وهو المطلوب .

وأما القسم التاسع من التوسل وهو أن يجمع بينه وبين غيره من أصحاب الحاجة فى الدعاء والاستغاثة ويخلط حاجته بحاجتهم فكما قال البيضاوى فى تفسير إياك نعبد وإياك نستعين .

والضمير المستكن فى الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضرى صلاة الجماعة اوله ولسائر الموحدين ادرج عبادته فى تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها وتجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة (تفسير بيضاوى ص ٨) .

قال الفاضل السيالكوتى فى شرح هذا المقام . رجاء للقبول ببركتها لانه خلط عبادته واستعانته بعبادتهم واستعانتهم وفيهم مقبول العبادة والدعاء كالملائكة والانبياء ولا يليق بكرمه رد البعض وقبول البعض (عبدالحكيم على البيضاوى ص ٧٣) .

وأما القسم العاشر وهو التوسل بالصلاة على النبى ﷺ فكما روى عن أبى بن كعب قال قلت يا رسول الله انى أكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتى فقال ما شئت قلت الربع قال ما شئت فان زدت فهو خير لك قلت النصف قال ماشئت فان زدت فهو خير لك قلت فالثلثين قال ما شئت فان زدت فهو خيرلك قلت اجعل لك صلاتى كلها قال إذاً يكفى همك ويكفرلك ذنبك . رواه الترمذى

وعن فضالة بن عبيد قال بينما رسول الله ﷺ قاعد إذ دخل رجل فصلى فقال اللهم اغفرلى وارحمنى فقال رسول الله ﷺ عجلت أيها المصلى إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله وصل علىّ ثم ادعه قال ثم صلى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ أيها المصلى أدع تجب رواه الترمذى وروى أبو داؤد والنسائى نحوه .

وعن عبدالله بن مسعود قال كنت اصلى والنبى ﷺ وأبوبكر وعمر معه فلما جلست بدأت بالثناء على الله تعالى ثم الصلاة على النبى ﷺ ثم دعوت لنفسى فقال النبى ﷺ سل تعطه . (رواه الترمذى)

وعن عمر بن الخطاب قال إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منها شىء حتى تصلى على نبيك (رواه الترمذى) . راجع مشكاة (ص ٩٣ ، ج ١) وتفسير ابن كثير (ص ٥٠٨ ، ج ٣) .

وعن على قال كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبى ﷺ رواه الطبرانى فى الاوسط موقوفاً ورواته ثقات . (صيانة الانسان ص ٢٠٠) .

فهذه الاحاديث وأمثالها نادبة كل الندب إلى التوسل فى الدعاء والاستغاثة إلى الله بالصلاة على النبى ﷺ . وهو المطلوب

وأما القسم الحادى عشر وهو التوسل باضافة الرب إلى عباده الصالحين فكما فى حديث عائشة رض اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل . المروى فى صحيح مسلم (ص ٢٦٣، ج ١) وابن ماجة (ص ٩٧) . فلو قال احد فى الدعاء اللهم رب ابراهيم وموسى وعيسى وداؤد ومحمد ﷺ . أو قال اللهم رب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى أو قال اللهم رب فاطمة والحسن والحسين أو قال اللهم رب أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد أو قال اللهم رب البخارى ومسلم والترمذى وأبى داؤد وابن ماجة أو قال اللهم رب معروف الكرخى وأبى يزيد البسطامى والشيخ عبدالقادر الجيلانى وجنيد فلا أرى به بأساً . (صيانة الانسان ص ١٩٩)

إلى هذا كان الكلام فى تحقيق التوسل الشرعى وأما القسم الذى نعبر عنه بالتوسل الغير الشرعي فحان أن نشرع فيه .

فأقول وبالله التوفيق .

التوسل الغير الشرعى على انحاء سبعة حسبما وقع عليه عمل كثير من الناس المفتونين بالقبور والمشاهد .

النحو الأول أن يأتى قبر نبي أو ولى أو غيرهما ممن يحسن عقيدته عليه .

فيقول يا سيدى فلان اشفنى أو اشف مريضى أو اكشف كربتى واقض حاجتى أو اهلك عدوى وعليك أن تفعل كذا وكذا وأنت وكيلى وأنت كفيلى وغير ذلك من الالفاظ المختلفة باختلافهم .

والثانى أن يدعو غائبا أو ميتا من بعيد من غير الاتيان إلى قبره والحضور لديه بهذا النحو من الكلمات .

والثالث أن يأتى القبر ويقول يا فلان أدع الله أن يقضى حاجتى واشفع لى فى حاجتى هذه فانك مقبول الشفاعة لا جائز أن يرد الله شفاعتك .

والرابع أن يدعو غائباً أو ميتا بعيدا عن القبر بهذا النحو من الدعاء .

والخامس أن يأتى القبر ويسأل الله وحده معتقدا أن الدعاء عند مزار الولى أقرب إلى الاجابة .

والسادس أن يدعو من غير شهود المقابر والمزارات يا الهى اقض حاجتى بحق فلان وفلان .

والسابع أن يقول فى دعائه بوسيلة فلان أو ببركته أو بخاطره أو بطفيله أو بحرمته أو بجاهه وغير ذلك مما يؤدى مرداه .

فهذه جملة الانحاء التى يسميها عباد القبور بالتوسل وينكرون أشد النكير على من انكر عنها وينسبونه إلى انكار الوسيلة وانكار الكرامات وتوهين الاولياء وغير ذلك من المطاعن وانا اريد أن تكلم على كل من هذه الانحاء بفضل الله وتوفيقه .

منهاجى العقل وقمع الهوى
فهل لمنهاجى من هاجى

أما النحو الأول فليس من التوسل المباح فى شىء بل هو كفر بواح واشراك بالله فى التصرف والقدرة والدعاء يجب استتابة المبتلى به فان تاب والا يقتل وليس هذا اقل من شرك المشركين الذين انزل لاصلاحهم القرآن وبعث لدعوتهم الرسول ﷺ بل هو أزيد من شركهم بكثير .

وذلك لأن مشركى مكة وغيرهم كانوا قائلين بوجود الله تعالى وأنه خالق السماوات والأرضين وخالقهم وخالق آبائهم الاولين وأن بيده ملكوت السماوات والأرض وأنه يدبر الأرض وأنه يجير ولايجار عليه وأنه سخر الشمس والقمر وأنه يجرى السحاب وينزل الامطار وإذا ركبوا فى الفلك دعووا الله مخلصين له الدين ولم يكن احد من المشركين يثبت لله شريكا يساويه فى العلم والقدرة وسائر الصفات وهذا مما لم يوجد إلى الآن وانما اتخذوا من دون الله اولياء قصدوا بعبادتهم التقرب إلى الله وقالوا هؤلاء شفعاءنا عند الله وكانوا يحجون ويعتمرون ويطوفون بالبيت ويلبون ويقسمون بالله وكانت اصنامهم تماثيل الانبياء والملائكة والجن والصالحين من عباد الله والكواكب العلوية وكان مبدأ شركهم هو الغلو فى الصالحين .

وهذا المرام قد استقصينا الكلام عليه فى تأليفنا عقد اللآلى والدرر فليراجع إليه وههنا اكتفى بنبذة من الآيات والاحاديث وأقوال أهل العلم الدالة على ما قلنا .

فاقول قال الله تعالى : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ۝ سيقولون لله قل أفلا تذكرون ۝ قل من رب السموات السبع ورب العرش الكريم ۝ سيقولون لله قل افلا تتقون ۝ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ۝ سيقولون لله قل فانى تسحرون ﴾ (المؤمنون ٨٤-٨٩)

وقال تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ (الزمر : ٣) .

وقال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ (الزمر : ٣٨) .

وقال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون ۝ ﴾

وقال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله ۝ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فاذا ركبوا فى الفلك دعووا الله مخلصين له الدين ﴾ (عنكبوت : ٦١-٦٣-٦٥) .

وقال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ۝ ﴾ (زخرف : ٩) .

وقال تعالى : ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون﴾ (زخرف : ٨٧) .

وقال تعالى : ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ (لقمان : ٢٥) .

وقال تعالى : ﴿فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون﴾ (احقاف : ٢٨) .

وقال تعالى : ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ٥﴾ (يونس : ٣١) .

وقال تعالى : ﴿ويعبدون من دن الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعائنا عند الله ٥﴾ (يونس : ١٨) . وقال تعالى : ﴿وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجكم إلى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا﴾ (بنى اسرائيل : ٦٧) .

وقال تعالى : ﴿وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا اذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون﴾ (روم : ٣٣) .

وقال تعالى : ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجّاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور﴾ (لقمان : ٣٢) .

وقال تعالى : ﴿هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم

الموج من كل مكان وظنوا أنهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ﴾ (يونس : ٢٢) .

وقال تعالى : قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين ﴾ (انعام : ٦٣) .
وقال تعالى : ﴿ قل أرءيتكم أن اتاكم عذاب الله أو اتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون ﴾ (انعام : ٤١) .

وقال تعالى : ﴿ سيقول الذين اشركوا لوشاء الله ما اشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء ﴾ (انعام : ١٤٩) .

وقال تعالى : ﴿ حكاية عن المشركين ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ﴾ (دخان : ١٢) .

وقال تعالى : ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آبائنا والله امرنا بها ﴾ (اعراف : ٢٨) .

وقال تعالى : ﴿ وما كان الله معذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ (انفال : ٣٣) .

وقال تعالى : وقال الذين اشركوا لوشاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آبائنا ﴾ (نحل : ٣٥) .

وقال تعالى : ﴿ واقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ﴾ (نحل : ٣٨) .

وقال تعالى : وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذامسكم الضر فاليه تجئرون ﴾ (نحل : ٥٣) .

فهذه الآيات وأمثالها .

تكشف لك القناع عن صدق ما ذكرنا فى مشركى مكة وغيرهم .

وأخرج الترمذى عن عمران بن حصين قال قال النبى ﷺ لأبى يا حصين كم تعبد اليوم إلهاً قال أبى سبعة ستاً فى الأرض وواحدا فى السماء قال فايهم تعد لرغبتك ورهبتك قال الذى فى السماء . (مشكاة ص ٢٣٤) .

وعن ابن عباس قال كان المشركون يقولون لبيك اللهم لبيك لا شريك لك فيقول رسول الله ﷺ ويلكم قد قد . الا شريكا هو لك تملكه وما ملك يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت . (مسلم ص ٣٧٢ ، ج ١ — مشكاة ص ٢٤١ ، ج ١ — وروح المعانى ص ٦٦ ، ج ١٤) .

قال الشهرالستانى وكانت العرب إذا لبت وهللت قالت لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك الملل والنحل (ص ٢٣٨ ، ج ٢) .

وقال الحافظ ابن القيم فى تفسير تالله أن كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العلمين . (الشعراء ٩٧)

ومعلوم انهم ما سووهم به فى الذات والصفات والافعال ولا قالوا أن آلهتهم خلقت السماوات والأرض وأنها تحيي وتميت وانما سووها به فى محبتهم لها وتعظيمهم لها وعبادتهم كما ترى عليه أهل الاشراك ممن ينتسب إلى الاسلام ومن العجب انهم ينسبون أهل التوحيد إلى التنقيص بالمشائخ والانبياء والصالحين وما ذنبهم إلا انهم قالوا انهم عبيد لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضراً ولا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولانشوراً

وانهم لا يشفعون لعابديهم أبداً بل قد حرم الله شفاعتهم لهم . اغاثة اللهفان (ص ٧٦ ، ج ١) .

وقال فى ذكر مذهب الصابئة . وهم يقرون أن للعالم صانعا فاطرا حكيما مقدسا عن العيوب والنقائص ثم قال المشركون منهم لا سبيل لنا إلى الوصول إلى جلاله إلا بالوسائط فالواجب علينا أن نتقرب إليه بتوسطات الروحانيات القريبة منه وهم الروحانيون المقربون المقدسون عن المواد الجسمانية وعن القوى الجسمانية بل قد جبلوا على الطهارة فنحن نتقرب اليهم ونتقرب بهم إليه فهم اربابنا وآلهتنا وشفعائنا عند رب الارباب واله الآلهة فما نعبدهم إلا يقربونا إلى الله زلفى . إلى آخر ما قال (ص ٢٤٨ ، ج ٢) .

قال الحافظ ابن كثير قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال لرجل ما تعبد ؟ قال اعبد كذا وكذا حتى عد اصناما فقال رسول الله ﷺ فأيهم إذا اصابك ضر فدعوته كشفه عنك قال الله عز وجل قال فايهم إذا كانت لك حاجة فدعوته اعطاكها قال الله عز وجل قال فما يحملك على أن تعبد هؤلاء معه أم حسبت أن تغلب عليه قال اردت شكره بعبادة هؤلاء معه تفسير ابن كثير (ص ٢٦٠ ، ج ٣) .

وقال كما اتفق لعكرمة بن أبي جهل لما ذهب فارا من رسول الله ﷺ حين فتح مكة فذهب هاربا فركب فى البحر ليدخل الحبشة فجاءتهم ريح عاصف فقال القوم بعضهم لبعض أنه لا يغنى عنكم إلا أن تدعو الله وحده فقال عكرمة فى نفسه والله إن كان لا ينفع فى البحر غيره فانه لا ينفع فى البر غيره اللهم لك على عهد لئن اخرجتنى منه لاذهبن فلاضعن يدى فى يد محمد فلأجدنه رءوفاً رحيما فخرجوا من

البحر فرجع إلى رسول الله ﷺ وحسن اسلامه رضى الله عنه وارضاه (ص ٥٠ ، ج ٣) .

وقال الامام الرازى واعلم أنه ليس فى العالم احد يثبت لله شريكا يساويه فى الوجود والقدرة والعلم والحكمة وهذا مما لم يوجد الى الآن وأما اتخاذ معبود سواه ففى الذاهبين الى ذلك كثيرة الى أن قال ورابعها متى مات منهم رجل كبير يعتقدون أنه مستجاب الدعوة ومقبول الشفاعة عند الله اتخذوا صنما على صورته يعبدونه على اعتقاد ان ذلك الانسان يكون شفيعاً لهم يوم القيامة عند الله على ما اخبر تعالى عنهم بهذه المقالة فى قوله هؤلاء شفاءنا . (التفسير الكبير ص ٦٩ ، ج ٤) . وقال ورابعها انهم وضعوا هذه الاصنام والاوثان على صور انبيائهم واكابرهم وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فان أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعالى ونظيره فى هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الاكابر على اعتقاد انهم اذا عظموا قبورهم فانهم يكونون شفعاء لهم عندالله (ص ٥٥٦ ، ج ٤) .

وقال فى قوله تعالى فلا تضربوا لله الامثال . اقول يحتمل أن يكون المراد آن عبدة الاوثان كانوا يقولون أن اله العالم أجل وأعظم من أن يعبده الواحد منا بل نحن نعبد الكواكب أو نعبد هذه الاصنام ثم أن الكواكب والاصنام عبيد الاله الاكبر الاعظم والدليل عليه العرف فان اصاغر الناس يخدمون اكابر حضرة الملك وأولئك الاكابر يخدمون الملك فكذا ههنا (ص ٤٣٦، ج ٥) .

وقال فى تفسير النجم قالوا نحن لانشك أن شيئاً منها ليس مثلاً لله تعالى ولا قريباً من أن يماثله وانما صورنا هذه الاشياء عل صور

الملائكة المعظمين الذين اعترف بهم الانبياء وقالوا انهم يرتقون ويقفون عند سدرة المنتهى ويرد عليهم الامر والنهى (ص ٧١٣ ، ج ٧) .

وقال الامام البغوى وقالوا (أى المشركون) قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده . على هامش الخازن (ص ١٨ ، ج ٥) .

وقال الآلوسى فى تفسير قوله تعالى ولم يلبسوا ايمانهم بظلم . أى شرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون انهم مؤمنون بالله تعالى وأن عبادتهم لغيره سبحانه معه من تتمات ايمانهم وأحكامه لكونها لاجل التقريب والشفاعة كما ينبيء عنه قولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى . روح المعانى (ص ٢٠٧ ، ج ٧) .

وقال الامام ولى الله

والمشركون وافقوا المسلمين فى تدبير الأمور العظام وفيما ابرم وجزم ولم يترك لغيره خيرة ولم يوافقوهم فى سائر الامور فذهبوا إلى أن الصالحين من قبلهم عبدوا الله وتقربوا إليه فاعطاهم الله الالوهية فاستحقوا العبادة من سائر خلق الله كما أن ملك الملوك يخدمه عبده فيحسن خدمته فيعطيه خلعة الملك ويفوض إليه تدبير بلد من بلاده فيستحق السمع والطاعة من أهل ذلك البلد وقالوا لا تقبل عبادة الله إلا مضمومته بعبادتهم بل الحق فى غاية التعالى فلا تفيد عبادته تقربا منه بل لا بد من عبادة هؤلاء ليقربوا إلى الله زلفى وقالوا هؤلاء يسمعون ويبصرون ويشفعون لعبادهم ويدبرون أمورهم وينصرونهم فنحتوا على اسمائهم احجارا وجعلوها قبلة عند توجههم إلى هؤلاء فخلف من بعدهم

خلف فلم يفطنو للفرق بين الاصنام وبين من هى على صورته فظنوها معبودات باعيانها ولذلك رد الله عليهم تارة بالتنبيه على أن الحكم والملك له خاصة وتارة ببيان انها جمادات (أم لهم ارجل يمشون بها أم لهم ايد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها) حجة الله البالغة (ص ٥٩ ، ج ١) .

وقال الشهرستانى : فيعبدون الاصنام التى هى الوسائل ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا وكان ود لكلب وهو بدومة الجندل وسواع لهذيل وكانوا يحجون إليه وينحرون له ويغوث لمذحج ولقبائل من اليمن ويعوق لهمدان ونسر لذى الكلاع بأرض حمير وكان اللات لثقيف بالطائف والعزى لقريش وجميع بنى كنانة وقوم من بنى سليم ومناة للاوس والخزرج وغسان وهبل أعظم الاصنام عندهم وكان على ظهر الكعبة واساف ونائلة على الصفا والمروة وضعهما عمرو بن لحى وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة وزعموا انهما كانا من جرهم اساف بن عمرو ونائلة بنت سهيل تعاشقا ففجرا فى الكعبة وقيل لا بل كانا صنمين جاء بهما عمرو بن لحى فوضعهما على الصفا . (الملل والنحل ص ٢٣٧ ، ج ٢) .

وروى البخارى عن ابن عباس رض قال كان اللات رجلا يلت سويق الحاج . وقال العينى فى شرحه وكانت تعظم هذا الرجل باطعامه الناس فى كل موسم فلما مات اتخذوا مقعده الذى كان يلت فيه السويق منسكا ثم سنح الامر بهم إلى أن عبدوا تلك الصخرة التى كان يقعد عليها ومثلوها صنما وسموها اللات (عمدة القارى ص ٢٠١ ، ج ١٩ — والبخارى ص ٧٢٠ ، ج ٢ — وفتح البارى ص ٤٧١ ، ج ٨) .

وقال ابن كثير وحكى ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس انهم قرأوا اللات بتشديد التاء وفسروه بأنه كان رجلا يلت للحجيج فى الجاهلية السويق فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه . (تفسير ابن كثير ص ٢٥٣، ج ٤) .

وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس أنه كان يلت السويق على الحجر فلا يشرب منه احد إلا سمن فعبدوه وأخرج الفاكهى عنه أنه لما مات قال له عمرو بن لحى أنه لم يمت ولكنه دخل الصخرة فعبدوها وبنوا عليها بيتا . وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج أنه قال كان رجل من ثقيف يلت السويق بالزيت فلما توفى جعلوا قبره وثنا . (روح المعانى ص ٥٥ ، ج ٢٧) .

وأخرج البخارى فى كتاب التفسير عن ابن عباس . أما ودٌ فكانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبنى غطيف بالجرف عند سبا وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذى الكلاع اسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما هلكوا أوحى الشيطان أن انصبوا لمجالسهم التى كانوا يجلسون انصاباً وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت (ص ٧٣٢ ، ج ٢) وتفسير ابن كثير (ص ٤٢٦ ، ج ٤) ومنهاج السنة (ص ١٣١ ، ج ١) واغاثة اللهفان (ص ٢٠٢ ، ج ٢) .

وأخرج أبو الشيخ فى العظمة عن محمد بن كعب القرظى أنه قال كان لآدم عليه السلام خمسة بنين ود وسواع الخ . فكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان فقال

حزنتم على صاحبكم هذا قالوا نعم قال هل لكم أن أصور لكم مثله فى قبلتكم اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا نكره أن تجعل لنا فى قبلتنا شيئاً نصلى عليه قال فاجعله فى مؤخر المسجد قالوا نعم فصوره لهم حتى مات خمستهم فصور صورهم فى مؤخر المسجد فنقصت الأشياء حتى تركوا عبادة الله وعبدوا هؤلاء فبعث الله نوحا عليه السلام فدعاهم الى عبادة الله وحده وترك عبادتها فقالوا ما قالوا .

وأخرج ابن أبى حاتم عن عروة بن الزبير أن ودا كان اكبرهم وابرهم .

وكانوا كلهم ابناء آدم عليه السلام .

وروى أن ودا كان أول معبود من دون الله سبحانه وتعالى أخرج عبد بن حميد عن أبى مطهر قال ذكروا عند أبى جعفر رض يزيد بن المهلب .

فقال أما أنه قتل فى أول أرض عبد فيها غير الله ثم ذكر ودا وقال كان رجلا مسلما وكان محببا فى قومه فلما مات عكروا حول قبره فى أرض بابل وجزعوا عليه فلما رأى ابليس جزعهم تشبه فى صورة انسان ثم قال أرى جزعكم على هذا فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون فى ناديكم فتذكرونه به قالوا نعم فصور لهم مثله فوضعوه فى ناديهم فجعلوا يذكرونه به فلما رأى ما بهم من ذكره قال هل لكم أن اجعل لكم فى منزل كل رجل منكم تمثالاً مثله فيكون فى بيته فيذكر به فقالوا نعم ففعل فأقبلوا يذكرونه به وادرك ابنائهم فجعلوا يرون ما يصنعون به .

وتناسلوا ودرس امر ذكرهم اياه حتى اتخذوه الها يعبدونه من دون الله تعالى فكان أول من عبد غير الله تعالى فى الأرض ودا . تفسير روح المعانى (ص ٨٨ ، ج ٢٩) .

ونحوه فى فتح البارى (ص ٥١٢ ، ج ٨) .

وقال الحافظ ابن كثير قال عبدالله بن عباس وغير واحد من علماء التفسير وكان أول ما عبدت الاصنام أن قوماً صالحين ماتوا فبنى قومهم عليهم مساجد وصوروا صور أولئك فيها ليتذكروا حالهم وعبادتهم فيتشبهوا بهم فلما طال الزمان جعلوا اجسادا على تلك الصور فلما تمادى الزمان عبدوا تلك الاصنام وسموها بأسماء أولئك الصالحين ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا فلما تفاقم الامر بعث الله سبحانه وتعالى نوحا فامرهم بعبادة الله وحده (تفسير ابن كثير ص ٢٢٣ ، ج ٢) .

وقال شيخ الاسلام بن تيمية قال غير واحد من السلف هؤلاء كانوا قوما صالحين فى قوم نوح عليه السلام فلما ماتوا عكفوا على قبورهم فلما طال عليهم الامر عبدوهم . (كتاب الوسيلة ص ١٢٥) .

وقال الحافظ ابن القيم ومن اعظم مكايده التى كاد بها أكثر الناس وما نجا منها إلا من لم يرد الله فتنتة ما اوحاه قديما وحديثا إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور حتى آل الامر فيها إلى أن عبد اربابها من دون الله وعبدت قبورهم واتخذت أوثاناً وبنيت عليها الهياكل وصورت صور اربابها فيها ثم جعلت تلك اجسادا لها ظل ثم جعلت اصناما وعبدت مع الله تعالى وكان أول هذا الداء العظيم فى قوم

نوح عليه السلام كما اخبر سبحانه تعالى عنهم فى كتابه . إلى آخر ما قاله الاغاثة (ص ٢٠١ ، ج ١) .

وقال وكان أول ما كاد بـه عباد الاصنام من جهة العكوف على القبور وتصاوير أهلها ليتذكروهم بها . (الاغاثة ص ٢٠١ ، ج ٢) .

وقال واعظم الفتنة بهذه الانصاب فتنة انصاب القبور وهى أصل فتنة عبادة الاصنام كما قاله السلف من الصحابة والتابعين ومن أعظم كيد الشيطان أنه ينصب لأهل الشرك قبر معظم يعظمه الناس ثم يجعله وثنا يعبد من دون الله ثم يوحى الى اوليائـه أن من نهى عن عبادتـه واتخـاذه عيدا وجعله وثنا فقد تنقصه وهضم حقه فيسعى الجاهلون المشركون فى قتله وعقوبته ويكفرونه الاغاثة (ص ٢٣١ ، ج ٢) .

والسبب الثانى عبادة القبور والاشراك بالاموات وهو شرك قوم نوح عليه السلام وهو أول شرك طرق العالم وفتنته أعم وأهل الابتلاء به أكثر وهم جمهور أهـل الاشراك . (مفتاح دار السعادة ص ١٩٧ ، ج ٢) .

وقال شيخ الاسلام والمشركون الذين وصفهم الله ورسوله بالشرك صنفان قوم نوح عليه السلام ، وقوم ابراهيم عليه السلام فقوم نوح كان اصل شركهم العكوف على قبور الصالحين ثم صور وتماثيلهم ثم عبدوهم وقوم ابراهـيم كان اصل شركهم عبـادة الكـواكب والشمس والقمر : كتاب الوسيلة ص ١٣ .

وقال الشامى وقيل لأن اصل عبادة الاصنام اتخاذ قبور الصالحين مساجد . ردالمحتار ص (٢٥٢ ، ج ١) قبيل باب الاذان .

وقال العلامة الآلوسى فى تفسير قوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون (يوسف ١٠٦) .

وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة هم أهل مكة آمنوا واشركوا كانوا يقولون فى تلبيتهم لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكا . هو لك تملكه وما ملك .

ومن هنا كان ﷺ إذا سمع احدهم يقول لبيك لا شريك لك يقول له قط قط أى يكفيك ذلك ولا تزد إلا شريكا الخ .

وعن ابن زيد وعكرمة وقتادة ومجاهد أيضاً أن هؤلاء كفار العرب مطلقا اقروا بالخالق الرازق المميت واشركوا بعبادة الأوثان والاصنام . إلى أن قال وقد يقال نظرا إلى مفهوم الآية انهم من يندرج فيهم كل من اقر بالله وخالقيته مثلاً وكان مرتكبا ما يعد شركا كيف ما كان ومن أولئك عبدة القبور الناذرون لها المعتقدون للنفع والضر ممن الله أعلم بحاله فيها وهم اليوم أكثر من الدود (روح المعانى ص ٦٦-٦٧، ج ١٣) .

وقال الشهرستانى وأول من وضع فيه (أى فى بيت الله) الاصنام عمرو بن لحى لمّا سار قومه إلى مكة واستولى على امر البيت ثم صار إلى مدينة البلقاء بالشام فرأى هناك قوما يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه ارباب اتخذناها على شكل الهيا كل العلوية والاشخاص البشرية نستنصر بها فننصر ونستسقى بها فنسقى ونستشفى بها فنشفى فاعجبه ذلك وطلب منهم صنما من اصنامهم فدفعوا إليه هبل فسار به إلى مكة ووضعه فى الكعبة وكان معه اساف ونائلة على شكل زوجين فدعا الناس

إلى تعظيمها والتقرب اليها والتوسل بها إلى الله تعالى (ص ٢٣٣ ، ج ٢) .

وقال الآلوسي فى تفسير آيـة (يونس ٢٢) ومن حديث أخرجه أبو داؤد والنسائى وغيرهـا عن سعد بن أبي وقاص قال لما كان يوم الفتح فر عـكرمة بن أبي جهل فركب البحر فاصابتهم عاصف فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة اخلصوا فان آلهتـكم لا تغنى عنكم شيئاً فقال عـكرمة لئن لم ينجنى فى البحر إلا الاخلاص ما ينجنى فى البر غيره اللهم إن لك عهدا ان أنت عافيتنى مما انا فيه أن آتى محمدا حتى اضع يدى فى يده فلاجدنه عفوا كريما قال فجاء فاسلم وفى رواية ابن سعد عن أبي مليـكة أن عـكرمـة لما ركب السفينة واخذتهم الريح فجعلوا يدعون الله ويوحـدونه قال ما هـذا فقالوا هـذا مكان لا ينفع فيه إلا الله تعالى .

قال فهذا إله محمد ﷺ الذى يدعونا إليه فارجعوا بنا فرجـع واسلم وقال . وايا ما كان فالآية دالة على أن المشركين لا يدعون غيره تعالى فى تلك الحال وقال وأنت خبير بأن الناس اليوم إذا اعتراهم امر خطير وخطب جسيم فى بر أو بحر دعوا من لا يضر ولا ينفع ولا يرى ولا يسمع فمنهم من يـدعو الخضر والياس ومنهم من ينادى أبا الخميس والعباس ومنهم من يستغيث باحد الأئمة ومنهم من يستغيث إلى شيخ من مشائخ الامـة ولا ترى فيهم احـدا يخص مولاه بتضرعـه ودعاه ولا يكاد يمرله ببال أنه لو دعا الله تعالى وحده ينجو من هاتيك الاهوال فبالله تعالى عليك قـل لى أى الفريقين من هذه الحيثية اهـدى سبيلا وأى الداعين أقوم قيلا .

وإلى الله المشتكى من زمان عصفت فيه ريح الجهالة وتلاطمت أمواج الضلالة وخرقت سفينة الشريعة واتخذت الاستغاثة بغير الله تعالى للنجاة ذريعة وتعذر على العارفين الامر بالمعروف وحالت دون النهى عن المنكر صنوف الحتوف هذا . روح المعانى (ص ٩٧-٩٨ ، ج ١١) وكذا فى (ص ١٠٦ ، ج ٢١ــلقمان) .

وقال ابن هشام حدثنى بعض أهل العلم أن عمرو بن لحى وهو أول من غير دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام خرج من مكة إلى الشام فى بعض اسفاره فلما قدم من أرض البلقاء وبها يومئذ العمالقة اولاد عملاق ويقال عمليق بن لاود بن سام بن نوح عليه السلام رأى هم يعبدون الاصنام فقال لهم ما هذه التى اراكم تعبدون فقالوا هذه الاصنام نعبدها ونستمطر بها فتمطرنا ونستنصر بها فتنصرنا فقال لهم إلا تعطونى منها صنما فاسير به إلى أرض العرب فيعبدونه فاعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وامر الناس بعبادته . تفسير روح المعانى (ص ١٩٧ ، ج ٧) .

وقال العلامة الكشميرى قوله اعل هبل .

وهو صنم اتى به عمرو بن لحى وقيل أنه كان عندهم صنم اتخذوه على اسم هابيل المقتول كعامر وعمر . فيض البارى (ص ٩٦ ، ج ٤) .

فاستبان بما ذكرنا من الآيات والاحاديث وأقوال أهل العلم أن المشركين السابقين كانوا معترفين بوجود الله تعالى وأنه تعالى خالق السموات والارضين وسخر الشمس والقمر وأنه يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وأنه ينزل من السماء مأء وبيده ملكوت كل شيء وله الامر والحكم وأنه خالقهم وخالق آبائهم وأن اصنامهم انما كانت تماثيل

العباد الصالحين فى نفس الامر أو فى زعمهم من الملائكة والانبياء والاولياء والجن والكواكب وانهم انما قصدوا بعبادتهم التوسل والتقرب إلى الله تعالى واتخذوهم شفعاء لهم عند الله .

وانهم قد يخلصون الدعاء لله تعالى واعتقدوا فى آلهتم العجز عن ما ينوبهم من الشدائد وأنه كان مبدأ الشرك هو الغلو فى الصالحين والعكوف بقبور الصالحين .

وانهم ما اعتقدوا فى آلهتهم انها تماثل الله وتساويه فى العلم والقدرة وسائر الصفات ولم يعتقدوا انها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات .

وإذا استيقنت هذا فاعلم أن الدعاء وكذا الاستغاثة والاستعانة والمسألة والتضرع أى لفظ قلت عبادة بل هو من اجل العبادات وهو اكرم شيء عند الله فمن اشرك احدا من المخلوق بالله تعالى جنيا كان أو انسياً نبياً كان أو وليا أو ملكا مقربا فى الدعاء والاستعانة والاستغاثة فوق الاسباب بان طلب ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فهو مشرك بالله تعالى فى العبادة خارج عن دائرة الاسلام يجب استتابته وان لم يكن الاشراك فى الدعاء شركا فليس فى الأرض شرك وإن كان فى الأرض شرك فالشرك فى الدعاء اولى أن يكون شركا بل الاشراك فى الدعاء هو اكبر شرك المشركين الذين بعث اليهم رسول الله ﷺ فانهم كانوا يدعون الانبياء والملائكة والصالحين ويتقربون اليهم بأنواع التقربات .

وهذا اعنى كون الدعاء عبادة وإن كان امرا ظاهرا لا يمكن أن ينكر عنه مسلم لكن لا بأس فى الاستشهاد عليه بالقرآن والحديث فاقول .

قال الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين (اعراف : ٥٥) .

وقال : وقال ربكم ادعونى استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين (المؤمن : ٦٠) .

وقال الآلوسى فى تفسير هذه الآية وجوز أن يكون المعنى اسألونى اعطكم وهو المروى عن السدى فمعنى قواه يستكبرون عن عبادتى يستكبرون عن دعائى لأن الدعاء نوع من العبادة ومن أفضل أنواعها .

بل روى ابن المنذر والحاكم وصححه عن ابن عباس أنه قال أفضل العبادة الدعاء وقراء الآية والتوعد على الاستكبار عنه لأن ذلك عادة المترفين المسرفين وانما المؤمن يتضرع إلى الله تعالى فى كل تقلباته وفى ايقاع العبادة صلة الاستكبار ما يؤذن بأن الدعاء باب من أبواب الخضوع لأن العبادة خضوع ولان المراد بالعبادة الدعاء والاستكبار انما يكون عن شىء إذا اتى به لم يكن مستكبرا . (تفسير روح المعانى ص ٨١ ، ج ٢٤) .

وقال تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين ولوكره الكافرون (المؤمن : ١٤) .

وقال تعالى هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين (المؤمن : ٦٦) .

وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله ﷺ الدعاء هو العبادة رواه أحمد والترمذى وأبو داؤد والنسائى وابن ماجة (مشكاة ص ٢١١ ، ج ١ ، وتفسير ابن كثير ص ٨٥ ، ج ٤) . وعن أنس قال قال رسول الله ﷺ الدعاء مخ العبادة. رواه الترمذى (مشكاة ص ٢١١)

وعن أبي هريرة رض قال قال رسول الله ﷺ ليس شيء اكرم على الله من الدعاء . رواه الترمذى وابن ماجه (مشكاة ص ٢١١) .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ سلوا الله من فضله فان الله يحب أن يسئل رواه الترمذى (مشكاة ص ٢١٢) .

وعن أبي هريرة رض قال : قال رسول الله ﷺ من لم يسأل الله يغضب عليه (مشكاة ص ٢١٢ — وتفسير ابن كثير ص ٨٥ ، ج ٤ — والجواب الكافى ص ٥) .

وعن انس رض قال : قال رسول الله ﷺ ليسأل احدكم ربه حاجته كلها حتى يسأل شسع نعله إذا انقطع (رواه الترمذى ، مشكاة ص ٢١٢ ، ج ١) .

وفى صحيح الحاكم من حديث أنس عن النبي ﷺ لا تعجزوا فى الدعاء فانها لا يهلك مع الدعا احد (الجواب الكافى ص ٥) .

وروى البخارى فى الادب سئل رسول الله ﷺ أى العبادة أفضل قال دعاء المرء لنفسه وروى أحمد عن النبي ﷺ قال لن ينفع حذر من قدر ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم بالدعاء يا عباد الله : (تيسير العزيز الحميد ص ١٨٣) .

فهذه الآيات وامثالها تفيدك الجزم الصائب على أن الدعاء والسؤال والاستعانة والاستغاثة والتضرع والخضوع كلها عبادة بل من أعظم العبادات فيجب اخلاص الدعاء لله تعالى وافراده بالدعاء كسائر أنواع العبادة واشراك أحد من المخلوق بالله تعالى فى الدعاء والمسألة شرك كسائر أنواع الشرك اعاذنا الله من ذلك .

ولذلك بالغ القرآن فى اخلاص الدعاء لله وحده واوجب على العبيد كلهم أن يدعوه مخلصين له الدين وشدد النكير على من يدعو مع الله إلها آخر .

ولا علينا أن نقدم بين يديك قدرا كافيا من الآيات التى تدل على ما قلنا .

فاقول قال الله تعالى : ادعوا ربكم تضرعا وخفية أنه لا يحب المعتدين (اعراف : ٥٥) .

وقال تعالى : وادعوه خوفا وطمعا (اعراف : ٥٦) .

وقال تعالى وإذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله (آل عمران : ١٣٥) وقال تعالى واسئلوا الله من فضله (نساء : ٣٢) .

وقال قل أرأيتكم إن اتاكم عذاب الله أو اتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين . بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه إنشاء وتنسون ما تشركون (انعام : ٤٠-٤١) .

وقال له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء الا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال (رعد : ١٤) .

وقال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام إن ربى لسميع الدعاء (ابراهيم : ٣٩) .

وقال واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربى عسى أن لا اكون بدعاء ربى شقيا (مريم : ٤٨) .

وقال ثم إذا مسكم الضر فاليه تجئرون ثم إذا كشف الضرعنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون (نحل : ٥٣) .

وقال قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا (الاسراء : ٥٦) .

وقال وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا اياه فلما نجاكم إلى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا (اسراء : ٦٧) .

وقال قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى (اسراء : ١١٠) .

وقال حكاية عن زكريا عليه السلام قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ولم اكن بدعائك رب شقيا (مريم : ٤) .

وقال فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون (عنكبوت : ٦٥) .

وقال فابتغوا عند الله الرزق (عنكبوت : ٧) .

وقال وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أنداداً اليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار (زمر : ٨) .

وقال ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذا من الظالمين (يونس : ١٠٦) .

وقال والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير أن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم (فاطر : ١٣-١٤) .

وقال إن الـذين تـدعون من دون الله عباد امثالـكم فادعـوهم فليستجيبوا لـكم إن كنتم صادقين (اعراف : ١٩٤) .

وقال : قال : هل يسمعونـكم إذ تدعون أو ينفعونـكم أو يضرون (شعراء ٧٢-٧٣) .

وقال افرأيتم ما تدعون من دون الله إن ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المؤمنون (زمر : ٣٨) .

وقال والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إن الله هو السميع البصير (مؤمن : ٢٠) . وقال تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له . إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب (حج : ٧٣) . وقال والـذين يـدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون (نحل : ٢٠) .

وقال قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد إذ هدانا الله (انعام : ٧١) . وقال ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون (احقاف : ٥) .

وقال قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملـكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير (سبا : ٢٢) .

وقال تعالى قل أرأيتم شركائـكم الذين تدعون من دون الله اروني

ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات أم آتينهم كتابا فهم على بينة منه بل أن يعد الظلمون بعضهم بعضا إلا غرورا (فاطر : ٤٠) . وقال تعالى ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم وإليه ترجعون (قصص : ٨٨) . وقال تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه أنه لا يفلح الكافرون (مؤمنون : ١١٧) . وقال تعالى فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين (شعراء ٢١٣) . وقال تعالى : يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد . يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير (حج : ١٢-١٣) .

وفى الاحاديث عن النبى ﷺ ما لا يحصى منها قوله ﷺ فيما رواه عن ربه تبارك وتعالى إنه قال يا عبادى كلكم جائع إلا من اطعمته فاستطعمونى اطعمكم يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى اكسكم يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى اهدكم يا عبادى انكم تخطئون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى اغفرلكم رواه مسلم . وقوله ﷺ ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ثم يقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفرله (رواه البخارى ومسلم ـــ تيسير العزيز الحميد ص ١٨٣) .

ثم اعلم أن هذا النحو من التوسل وهو أن يأتى القبر فيقول اغثنى واقض حاجتى وكيت وكيت كما أنه شرك فى الدعاء كذلك هو اشراك بالله فى التصرف والقدرة لانهم يعتقدون فى هؤلاء المقبورين أن الله تعالى اعطاهم القدرة على قضاء حاجة المستغيث اليهم وكشف المكربة

عنهم واعطاهم التصرف فى هذا العالم كما يدل عليه صنيعهم هذا بل هم يصرحون بذلك .

قال العلامة الآلوسى وفى قوله تعالى (إن الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا) الخ .

اشارة إلى ذم الغالين فى اولياء الله تعالى حيث يستغيثون بهم فى الشدة غافلين عن الله تعالى وينذرون لهم النذور والعقلاء منهم يقولون انهم وسائلنا إلى الله تعالى وإنما ننذر إلى الله تعالى ونجعل ثوابه للولى .

ولا يخفى انهم فى دعواهم الاولى اشبه الناس بعبدة الاصنام القائلين انما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ودعواهم الثانية لا بأس بها لو لم يطلبوا منهم بذلك شفاء مريضهم او رد غائبهم او نحو ذلك والظاهر من حالهم الطلب .

ويرشد إلى ذلك أنه لو قيل انذروا لله تعالى واجعلوا ثوابه لوالديكم فانهم احوج من أولئك الاولياء لم يفعلوا ورئيت كثيرا منهم يسجد على اعتاب حجر قبور الاولياء ومنهم من يثبت التصرف لهم جميعا فى قبورهم لكنهم متفاوتون فيه حسب تفاوة مراتبهم والعلماء منهم يحصرون التصرف فى القبور فى أربعة أو خمسة وإذا طولبوا بالدليل قالوا ثبت ذلك بالكشف قاتلهم الله ما اجهلهم وأكثر افترائهم ومنهم من يزعم انهم يخرجون من القبور ويتشكلون باشكال مختلفة وعلمائهم يقولون إنما تظهر ارواحهم متشكلة وتطوف حيث شاءت وربما تشكلت بصورة اسد أو غزال أو نحوه .

وكل ذلك باطل لا اصل له فى الكتاب والسنة وكلام سلف الامة وقد افسد هؤلاء على الناس دينهم وصاروا ضحكة لأهل الاديان

المنسوخة من اليهود والنصارى وكذا لأهل النحل والدهرية نسأل الله العفو والعافية (روح المعانى ص ٢١٢-٢١٣ ، ج ١٧) .

وقال الآلوسى فى قوله تعالى وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة الخ . وقد رأينا كثيرا من الناس على نحو هذه الصفة التى وصف الله تعالى بها المشركين يهشون لذكر اموات يستغيثون بهم ويطلبون منهم ويطربون من سماع حكايات كاذبة عنهم توافق هواهم واعتقادهم فيهم ويعظمون من يحكى لهم ذلك وينقبضون من ذكر الله تعالى وحده ونسبة الاستقلال بالتصرف إليه عز وجل وسرد ما يدل على مزيد عظمته وجلاله وينفرون ممن يفعل ذلك كل النفرة وينسبونه إلى ما يكره وقد قلت يوماً لرجل يستغيث فى شدة ببعض الاموات وينادى يا فلان اغثنى فقلت له قل يا الله فقد قال سبحانه وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع إذا دعان ، فغضب وبلغنى أنه قال فلان منكر على الاولياء وسمعت عن بعضهم أنه قال الولى اسرع اجابة من الله عز وجل وهذا من الكفر بمكان نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزيغ والطغيان (تفسير روح المعانى ص ١١ ، ج ٢٤) .

وقال فى تفسير قوله تعالى فالمدبرات امرا — وكذا فى حملها على النفوس الفاضلة المفارقة ايهام صحة ما يزعمه كثير من سخفة العقول من أن الاولياء يتصرفون بعد وفاتهم بنحو شفاء المريض وانقاذ الغريق والنصر على الاعداء وغير ذلك مما يكون فى عالم الكون والفساد على معنى أن الله فوض اليهم ذلك ومنهم من خص ذلك بخمسة من الاولياء والكل جهل وإن كان الثانى اشد جهلاً (روح المعانى ص ٢٨ ، ج ٣٠) .

وقال الناس قد أكثروا من دعاء غير الله تعالى من الاولياء الاحياء والاموات وغيرهم مثل يا سيدى فلان اغثنى وليس ذلك من التوسل المباح فى شىء واللائق بحال المؤمن عدم التفوه بذلك وأن لا يحوم حول حماه وقد عده اناس من العلماء شركا وأن لا يكنه فهو قريب منه ولا ارى احدا ممن يقول ذلك إلا وهو يعتقد أن المدعو الحى الغائب أو الميت المغيب يعلم الغيب أو يسمع النداء ويقدر بالذات أو بالغير على جلب الخير ودفع الاذى والا لما دعاه ولا فتح فاه وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم .

فالحزم التجنب عن ذلك وعدم الطلب إلا من الله تعالى القوى الغنى الفعال لما يريد ومن وقف على سر ما رواه الطبرانى فى معجمه من أنه كان فى زمن النبى ﷺ منافق يؤذى المؤمنين فقال الصديق رض قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فجاءوا إليه فقال إنه لا يستغاث بى انما يستغاث بالله تعالى . لم يشك فى أن الاستغاثة بأصحاب القبور الذين هم بين سعيد شغله نعيمه وتقلبه فى الجنان عن الالتفات إلى ما فى هذا العالم وبين شقى الهاه عذابه وحبسه فى النيران عن اجابة مناديه والاصاخة إلى أهل ناديه . امر يجب اجتنابه ولا يليق بارباب العقول ارتكابه . ولا يغرنك أن المستغيث بمخلوق قد تقضى حاجته وتنجح طلبته فان ذلك ابتلاء وفتنة منه عز وجل وقد يتمثل الشيطان للمستغيث فى صورة الذى استغاث به فيظن أن ذلك كرامة لمن استغاث به هيهات هيهات انما هو شيطان اضله واغواه وزين له هواه وذلك كما يتكلم الشيطان فى الاصنام ليضل عبدتها الطغام وبعض الجهلة يقول إن ذلك من تطور روح المستغاث به او من ظهور ملك بصورته كرامة له ولقد ساء ما يحكمون لأن التطور والظهور وإن كانا ممكنين لكن لا فى

مثل هذه الصورة وعند ارتكاب هذه الجريرة نسأل الله تعالى باسمائه أن يعصمنا من ذلك ونتوسل بلطفه أن يسلك بنا وبكم أحسن المسالك . (روح المعانى ص ١٢٨-١٢٩ ، ج ٦) .

مـع أن الله تعالى قد صرف الآيات فى كتابه المجيد وكررها فى أن الله تعالى متفرد بصفة التكوين والقدرة ليس لاحـد من المخلوق قدرة التكوين والايجاد ولا يقدر أحد من خلقه على شى إلا باستعانـة الاسباب التى ربط الله المسببات بها ومباشرتها وانما القدرة والتصرف فوق الاسباب خاصة من خواص الربوبية الحقة فخذ من الآيات القرآنية ما يـكفى بصيرتك .

قال الله تعالى إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون (يوسف : ٦٧) .

وقال تعالى إن الحكم إلا لله امر أن لا تعبدوا إلا أياه (يوسف ٤٠)

وقال تعالى ويشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسم ينصرون (اعراف ص ١٩١-١٩٢) .

وقال والذين يدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون (اعراف : ١٩٧) .

وقال تعالى : ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين (اعراف : ٥٤) .

وقال تعالى إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين . (انعام : ٥٧) .

وقال تعالى ألا له الحكم وهو اسرع الحاسبين . (انعام : ٦٢) .

وقال تعالى قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضراً إلا ما شاء الله :
(اعراف : ١٨٨) .

وقال تعالى قل لا املك لنفسى ضراً ولا نفعاً إلا ماشاء الله .
(يونس : ٤٩) .

وقال تعالى ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه احدا .
(كهف : ٢٦) .

وقال تعالى قل لا املك لكم ضراً ولا رشدا قل لن يجيرنى من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا (جن : ٢٢) .

وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير (سبأ : ٢٢) .

وقال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم (فاطر : ٢) .

وقال تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير (انعام : ١٧) .

وقال تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده (يونس : ١٠٧) .

وقال تعالى يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد (حج : ١٢) .

وقال تعالى واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون

ولا يملكون لانفسهم ضراً ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا (الفرقان : ٣) .

وقال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون (يس ص ٧٤-٧٥) .

فهذه انموذج من النصوص القطعية الدالة على أن الخير والشر والنفع والضر والامر والخلق والحكم كلها لله تعالى وحده لا يشاركه احد من الكائنات .

فمن اعتقد فى احد من الخلق أنه يتصرف فى الكائنات وله القدرة على الخير والشر والنفع والضر فوق الاسباب العادية فهو مشرك بالله كافر بنصوص القرآن .

وأخرج ابن جرير عن عبدالعزيز الشامى عن ابيه وكانت له صحبة قال قال رسول الله ﷺ من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمد نفسه فقد كفر وحبط عمله ومن زعم أن الله جعل للعباد من الامر شيئاً فقد كفر بما انزل الله على انبيائه لقوله تعالى : ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين . (تفسير ابن كثير ص ٢٢١ ، ج ٢) .

وقد صرح بتكفيره ارباب العلم قال ابن نجيم فى البحزان ظن أن الميت يتصرف فى الامور دون الله واعتقاده ذلك كفر (ص ٢٩٨ ، ج ٢) كتاب الصوم (ورد المحتار للشامى ص ١٣٩ ، ج ٢) قبيل باب الاعتكاف .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية :

والمراتب فى هذا الباب ثلاث احداها أن يدعو غير الله وهو ميت

أو غائب سواء كان من الانبياء والصالحين أو غيرهم فيقول يا سيدى فلان اغثنى أو انا استجير بك أو استغيث بك أو انصرنى على عدوى واعظم من ذلك أن يقول اغفرلى وتب على كما يفعله طائفة من الجهال المشركين واعظم من ذلك أن يسجد لقبره ويصلى إليه ويرى الصلاة إليه أفضل من استقبال القبلة حتى يقول بعضهم هذه قبلة الخواص والكعبة قبلة العوام وأعظم من ذلك أن يرى السفر إليه من جنس الحج حتى يقول أن السفر إليه مرات يعدل حجة وغلاتهم يقولون الزيارة إليه مرة أفضل من حج البيت مرات متعددة ونحو ذلك فهذا شرك بهم وإن كان يقع كثير من الناس فى بعضه (القاعدة الجليلة ص ١٤٤) .

وقال الامام أبو الوفاء على بن عقيل الحنبلى صاحب كتاب الفنون الذى الفه فى نحو اربعمائة مجلد وغيره من التصانيف قال فى الكتاب المذكور لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن اوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت امر غيرهم وهم عندى كفار لهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يا مولاى أفعل بى كذا وكذا أو القاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبداللات والعزى .

وقال شيخ الاسلام من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم يدعوهم ويسألهم كفر اجماعاً .

وقال الامام ابن النحاس الشافعى فى كتاب الكبائر ومنها ايقاد السرج عند الاحجار والاشجار والعيون والآبار ويقولون انها تقبل النذر وهذه كلها بدع شنيعة ومنكرات قبيحة تجب ازالتها ومحو اثرها فان

أكثر الجهال يعتقدون انها تنفع وتضر وتجلب وتدفع وتشفى المريض وترد الغائب إذ انذر لها وهذا شرك ومحادة لله ولرسوله .

وقال الامام ابن القيم فى شرح المنازل ومن انواعـه أى الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثـة بهم والتوجه اليهم وهذا اصل شرك العالم فان الميت قـد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعا فضلا لمن استغاث بـه أوسأله أن يشفع إلى الله وهذا من جهله بالشافـع والمشفوع عنده فان الله سبحانه لا يشفع عنده احد إلا باذنـه والله لم يجعل سؤال غيره سببا لاذنه وإنما السبب لاذنه كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن والميت محتاج إلى من يدعوله كما امرنا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم وندعولهم ونسأل لهم العافية والمغفرة فعكس المشركون هذا وزارهم زيارة العبادة وجعلوا قبورهم اوثانا تعبد فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغير دينه ومعادات أهل التوحيد ونسبتهم إلى التنقص بالاموات وهم قد تنقصوا الخالق سبحانه بالشرك وأولياءه الموحدين بذمهم ومعاداتهم وتنقصوا من اشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا انهم راضون منهم بهذا وإنهم امروهم به وهؤلاء اعداء الرسل فى كل زمان ومكان .

وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفى فى كتابه الذى الفه فى الرد على من ادعى أن للاولياء تصرفا فى الحيوة وبعد الممات على سبيل الـكرامة هذا وأنه قد ظهر الآن فى ما بين المسلمين جماعات يدعون أن للاولياء تصرفات فى حياتهم وبعد الممات ويستغاث بهم فى الشدائد والبليات وبهم تـكشف المهمات فيأتون قبورهم وينادونهم فى قضاء الحاجات مستدلين على أن ذلك منهم كرامات وقالوا منهم ابـدال

ونقباء واوتاد ونجباء سبعون وسبعة وأربعون وأربعة والقطب هو الغوث للناس وعليه المدار بلا التباس وجوزوا لهم الذبائح والنذور واثبتوا لهم فيها الاجور قال وهذا الكلام فيه تفريط وافراط بل فيه الهلاك الابدى والعذاب السرمدى لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ومخالف لعقائد الائمة .

وما اجتمعت عليه الامة - راجع تيسير العزيز الحميد (ص ١٩٢-١٩٨) . قال العلامة صديق حسن القنوجى وإذا احطت بما ذكرنا علما ادركت أن كفر المشركين من المؤمنين من امة رسولنا ﷺ فى العرب والعجم أعظم من كفر الذين قاتاهم النبي ﷺ وقد سمعت أن الله تعالى ذكر عن الكفار انهم إذا مسهم الضر تركوا غير الله من السادة والقادة والطواغيت فلم يدعوا احدا منهم ولم يستغيثوا بهم بل اخلصوا لله وحده لا شريك له وانت ترى المشركين المدعين للايمان من المسلمين وفيهم من يدعى أنه من أهل العلم والفضل وفيه الصلاح والزهد والاجتهاد فى العبادة إذا مسه الضرر واهمه امر من أمور الدنيا قام يستغيث بغير الله من الاولياء كمعروف الكرخى والشيخ عبدالقادر الجيلانى وسالار مدار ونحوهم وأجل من هؤلاء مثل الخلفاء الراشدين والصحابة المكرمين أجمعين واجل منهم رسول الله ﷺ واشنع وافظع واقبح واعظم جرما واطم ضلالة انهم يستغيثون بالطواغيت والاجداث وأهل القبور والمردة من الجن والشياطين ويذبحون لهم وينذرون لهم ويسافرون إلى انصابهم ويفزعون إلى احبارهم ورهبانهم . (الدين الخالص ص ١٨٦ ، ج ١) .

وقال الامام ولى الله ومنها انهم كانوا يستعينون بغير الله تعالى فى

حوائجهم من شفاء المريض واغناء الفقير وينذرون لهم يتوقعون انجاح مقاصدهم بتلك النذور ويتلون اسمائهم رجاء بركتها فاوجب الله تعالى عليهم أن يقولوا فى صلوتهم إياك نعبد وإياك نستعين وقال تعالى فلا تدعوا مع الله احدا وليس المراد من الدعاء العبادة كما قاله بعض المفسرين بل هو الاستعانة لقوله تعالى بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون) (حجة الله البالغة ص ٦٢ ، ج ١) .

وقال فى الخير الكثير وأعلم أن طلب الحوائج من الموتى عالما بانه سبب لانجاحها كفر يجب الاحتراز عنه تحرمه هذه الكلمة والناس اليوم فيها منهمكون . (الخير الكثير ص ١٠٥) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية لا يجوز لاحد أن يستغيث باحد من المشائخ الغائبين ولا الميتين مثل أن يقول يا سيدى فلان اغثنى وانصرنى وادفع عنى أو انا فى حسبك ونحو ذلك بل كل هذا من الشرك الذى حرم الله ورسوله وهؤلاء المستغيثون بالغائبين والميتين عند قبورهم لما كانوا من جنس عباد الاوثان صار الشيطان يضلهم ويغويهم كما يضل عباد الاصنام ويغويهم فتتصور الشياطين فى صورة ذلك المستغاث بـه وتخاطبهم باشياء على سبيل المكاشفة كما تخاطب الشياطين الكهان وقد تقضى الشياطين بعض حاجاتهم وتدفع عنهم بعض ما يكرهونه فيظن احدهم أن الشيخ هو الذى جاء من الغيب حتى فعل ذلك أو يظن أن الله صور ملكا على صورته فعل ذلك .

ويقول احدهم هذا سر الشيخ وحاله وانما هو الشيطان تمثل على صورته ليضل المشرك به المستغيث به كما تدخل الشياطين فى الاصنام وتكلم عابديها وتقضي بعض حوائجهم كما كان ذلك فى اصنام مشركى

العرب وهو اليوم موجود فى المشركين من الترك والهند وغيرهم إلى آخر ما قال (القاعده الجليلة ص ١٤٩) .

وقال الشوكانى قال شيخ الاسلام تقى الدين فى الاقناع أن من دعا ميتا وإن كان من الخلفاء الراشدين فهو كافر وإن من شك فى كفره فهو كافر . (الدر النضيد ص ٦١) .

اقول فقد استبان بما ذكرنا من الآيات والاحاديث وأقوال أهل العلم أن النحو الاول من التوسل وهو أن يأتى القبر فيستغيث إليه ويستعين به ويطلب منه انجاح حاجته . ليس من التوسل الجائز فى شىء بل هو كفر بواح واشراك بالله فى الدعاء والعبادة والتصرف وأن مرتكبه مرتد خارج عن الاسلام يجب أن يستتاب فان تاب فبها والا قتل اعاذنا الله من ذلك بفضله وكرمه . ولله الحمد والمنة .

وأما النحو الثانى — من انحاء التوسل الغير الشرعى وهو أن يدعو غائبا من غير وجود اسباب بلوغ النداء إليه أو ميتا عن بعيد من غير الاتيان إلى قبره والحضور إلى مشهده بهذا النحو من التفوهات فهو كالقسم الاول بعينه حكمه . وحكمه فى كونه اشراكا بالله ما لم ينزل به سلطانا ويزيد هذا النحو على النحو الاول بان فيه شركا آخر وهو الاشراك بالله فى صفة العلم والسمع وذلك لان الفارق بين علم الخالق وعلم المخلوق هو أن علم الخالق مستغن عن الاسباب والشروط ولذلك نسبة علمه تعالى إلى جميع الاشياء وجميع الامكنة والازمنة على السواء فهو عالم الغيب والشهادة ونسبة العرش المعلى وما تحت الثرى إلى علمه تعالى واحدة بخلاف المخلوق فان الله تعالى قد خلق لعلم المخلوق اسبابا كثيرة مرجعها إلى ثلاثة اسباب الحواس السليمة والخبر الصادق

ونظر العقل وقد جرت عادته تعالى على أن يخلق العلم عقيب استعمال احد هذه الاسباب .

فالعلم بحال احد أو قول احد من غير وجود احد تلك الاسباب من خواص الاله الحق فمن اعتقد فى احد من المخلوق أنه يعلم أو يسمع من غير مباشرة احد اسباب العلم فقد اشرك بالله فى صفة العلم والسمع .

ولا اظنك مرتابا فى أن الحى الغائب أو الميت البعيد ليس عنده من أسباب العلم شىء فالنداء والاستغاثة إلى الحى الغائب أو الميت عن بعيد اشراك بالله فى العلم والسمع .

وهـذه المسئلة قد أوضحناها وبرهنا عليها فى تأليفنا عقد اللالى والدر ربما لا مزيد عليه من شاء فليراجـع إليه ولا علينا أن نذكر ههنا أيضاً قدرا ضروريا من القرآن والحديث وأقوال أهل العلم الدالة على اختصاص علم الغيب بالله تعالى وأن من اعتقده فى احد من المخلوق فهو مشرك خارج عن الاسلام .

فاقول وبالله التوفيق .

قال الله تعالى قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون ايان يبعثون . (النمل : ٦٥) .

وقال تعالى وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتب مبين . (انعام : ٥٩) .

وقال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام ولا أقول لـكم عندى

خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك الآية (هود : ٣١) وقال تعالى قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن انا إلا نذير وبشير لقوم يومنؤن . (اعراف : ١٨٨) .

وقال تعالى ولله غيب السماوات والأرض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون . (هود : ١٢٣) .

وقال تعالى ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة إلا كلمح البصر أو هو اقرب إن الله على كل شى قدير (النحل : ٧٧) .

وقال تعالى إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير . (لقمان : ٣٤)

وقال تعالى : يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا . (احزاب : ٦٣)

وقال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا . إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا . (جن : ٢٦-٢٧) .

وقال تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين . إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما . قال سلام قوم منكرون . فراغ إلى اهله فجاء بعجل سمين . فقربه اليهم فقال ألا تأكلون . فأوجس منهم خيفة . (الذاريات ٢٤-٢٨) .

فهذا ابراهيم عليه السلام خليل الله ومن أجل الانبياء واولى العزم من الرسل لكنه لم يعرف ضيفه بانهم الملائكة بل ظنهم بنى آدم فلذلك جاءهم بقراهم فيدل هذا دلالة بينة على اختصاص العلم فوق

الاسباب بالله تعالى وهو المطلوب . وقال تعالى ولما جاءت رسلنا سيىء بهم وضاق بهم زرعا وقال هذا يوم عصيب إلى آخر القصة . (هود : ٧٧-٨٩) .

وجه الاستدلال أن لوطا عليه السلام مع كونه رسول رب العالمين لم يعلم بان أولئك الواردين رسل الله تعالى وملائكته جاءوا بما يحبه ويرضاه من اهلاك قومه فعلم أن العلم من غير مباشرة احد اسبابه من خواص الاله الحق . وقال تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون . ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم . الآية (توبة : ١٠١) .

وقال تعالى وتفقد الطير فقال ما لى لا ارى الهدهد أم كان من الغائبين . (نمل : ٢٠) وقال تعالى قال سننظر اصدقت أم كنت من الكاذبين . (نمل : ٢٧) .

وكذلك واقعة الإفك المذكورة فى القرآن والحديث وقصة يوسف واخوته وقصة الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها وقصة أصحاب الكهف وغيرها من الآيات التى لا يسع المقام استقصائها كلها ادلة قطعية على اختصاص علم الغيب بالله تعالى .

والاحاديث الدالة على نفى علم الغيب عن غيره تعالى واختصاصه بالله تعالى كثيرة جدا لو جمعت لكانت جلدا ضخيما .

منها ما روى عن مجاهد قال جاء رجل من أهل البادية فقال إن امرأتى حبلى فاخبرنى متى تلد وبلادنا مجدبة متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فاخبرنى متى اموت فانزل الله عز وجل ان الله عنده علم

الساعة . إلى قوله عليم خبير (تفسير ابن كثير ص ٤٥٥ ، ج ٣ — وعمدة القارى ص ٨٦ ، ج ٢٥) التوحيد .

وروى عن مسروق عن عائشة رض قالت من زعم أنه عليه السلام يخبر بما يكون فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله .

وفى رواية البخارى من حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت ما تدرى نفس الآية . (بخارى ص ٧٢٠ ، ج ٢ — التفسير ومسلم ص ٩٨ ، ج ١ — وتفسير ابن كثير ص ٤٥٥ ، ج ٣ وص ٢٥١، ج ٤ — وفتح البارى ص ٣٠٧ ، ج ١٣ — والترمذى ص ١٦٠ ، ج ٢ — وروح المعانى ص ١١ ، ج ٢٠) .

واخرج ابن المنذر عن عكرمة أن رجلا يقال له الوارث بن عمرو جاء إلى النبى ﷺ فقال يا محمد ﷺ متى قيام الساعة وقد اجدبت بلادنا فمتى تخصب وقد تركت امرأتى حبلى فما تلد وقد علمت ما كسبت اليوم فماذا اكسب غدا .

وقد علمت بأى أرض ولدت فبأى أرض أموت فنزلت هذه الآية وذكر نحوه محى السنة البغوى والواحدى والثعلبى . (روح المعانى ص ١٠٩ ، ج ٢١) .

قال الآلوسى وفى قوله تعالى احطت الخ . دليل على بطلان قول الرافضة أن الامام ينبغى أن لا تخفى عليه شىء من الجزئيات ولا يخفى انهم ان عنوا بذلك أنه يجب أن يكون الامام عالما بالتفصيل باحكام جميع الحوادث الجزية التى يمكن وقوعها وأن يكون مستحضراً

الجواب الصحيح عن كل ما يسئل عنه فبطلان كلامهم فى غاية الظهور وقد سئل على رضى الله عنه وهو على منبر الكوفة عن مسألة فقال لا ادرى فقال السائل ليس مكانك هذا مكان من يقول لا ادرى فقال الامام كرم الله وجهه بلى والله هذا مكان من يقول لا ادرى وأما من لا يقول ذلك فلا مكان له يعنى به الله عز وجل . (روح المعانى ص ١٨٨ ، ج ١٩) .

وقد صرح الفقهاء والمحدثون على أن من ادعى لنفسه علم الغيب أو اعتقده لاحد من المخلوق فهو مشرك بالله تعالى مرتد خارج عن دائرة الاسلام .

قال العلامة الآلوسى وفى الآية رد على من ينسب لبعض الاولياء علم كل شىء من الكليات والجزئيات وقد سمعت خطيبا على منبر المسجد الجامع المنسوب للشيخ عبدالقادر الكيلانى قدس سره يوم الجمعة قال بأعلى صوت . يا باز أنت أعلم بى من نفسى وقال لى بعض انى لاعتقد أن الشيخ قدس سره يعلم كل شىء منى حتى منابت شعرى ومثل ذلك مما لا ينبغى أن ينسب إلى رسول الله ﷺ فكيف ينسب إلى سواه فليتق العبد مولاه . (روح المعانى ص ١٠ ، ج ٢٦) .

وقال مولانا رشيد احمد اگر کسی کا عقیدہ ہو کہ نبی ﷺ خود خطاب سنتے ہیں کفر ہے ۔ (فتاوى رشيديه ص ١٥ ، ج ١) .

جو شخص رسول الله ﷺ کے عالم الغیب ہونے کا معتقد ہو سادات حنفیہ کے نزدیک قطعاً کافر و مشرک ہے (ص ٣١ ، ج ٣) وكذا فى (ص ٤ ، ج ٢) وهكذا فى فتاوى ديوبند (ص ١١٦ ، ج ٥ وص ١١٧ ، ج ٦) وهكذا فى فتاوى عبدالحئ (ص ٢٧-٢٨ ، ج ١).

وقال أيضاً و در فتاوی بزازیه مینویسد تزوج بلا شهود وقال خدا و رسول خدا و فرشتگان را گواه کردیم یکفر لانه یعتقد ان الرسول والملك يعلمان الغيب .

و نیز در بزازیه است وعن هذا قال علماؤنا من قال أن ارواح المشائخ حاضرة تعلم يكفر . مجموع الفتاوى (ص ٢٨، ج ١ ــ وكذا ص ٥ ، ج ٣ ــ والبحر الرائق ص ١٢٠ ، ج ٥ وص ١٦ ، ج ٥، ص ١٢٤ ، ج ٥ ــ والشامی ص ٣٢٣ ، ج ٣ المرتد ، وشرح عقائد ص ١٢٢) والجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية (ص ٢٥٦ ، ج ١) وفتاوى قاضى خان طبع نولكشور (ص ١٥٤ ، ج ١) نكاح ، وكذا فى (ص ٤٦٨ ، ج ٤) كتاب السير وخلاصة الفتاوى (ص ٥٦٠ ، ج ٢) الفاظ الكفر . وفى بعض النسخ (ص ٣٨٥ ، ج ٤) وجامع الفصولين (ص ٢١٩ ، ج ٢) وفى بعض النسخ (ص ٣٠٢ ، ج ٢) والبحر الرائق (ص ٨٨ ، ج ٣) نكاح والدر المختار (ص ٢٩٩ ، ج ٢) قبيل فصل المحرمات من النكاح .

وهكذا فى مجموعة الرسائل للشامى (ص ٣١١ ، ج ٢ وص ٣١٣) والمسامرة بشرح المسائرة (ص ٩٩) وقال الشاه اسحاق) .

و اگر غیر خدا را باین اعتقاد میگوید که هر وقت که من ندا میکنم أو میشنود یا قدرت در انجاح حاجات میدارد و یا در عالم متصرف است یا شرکت تدبیر درکارخانه جات الهی میدارد پس درین صورت شریک گردانیدن ست بخدا .

برائی دفع این امر پیغمبر خدا ﷺ مبعوث شده هیچکس را در علم غیب و قدرت مطلقه و تصرف در امور عالم شریک با خدای

تعالى نبائد ساخت پس این قسم ندا کردن غیر خدا را موجب شرک وکفر است . چنانچه آیات قرآنی واحادیث رسول الله ﷺ وروایات فقهیه برینها دال اند . ثم ساق الآیات والاحادیث و اقوال الفقهاء مائة مسائل (ص ٣٨-٣٩) . وقال القاری القائل بذلك كافر اجماعاً . الموضوعات الكبير ص ١٦٢) .

وفى الصارم المنكى فى الرد على السبكى .

بعض الجهال يقولون أنه عليه السلام يوم الجمعة وليلة الجمعة يسمع بأذنيه صلاة من صلى عليه فالقول بانه يسمع ذلك من نفس المصلى باطل وإنما فى الاحاديث المعروفة أنه يبلغ ذلك ويعرض عليه وكذلك تبلغه اياه الملائكة وقول القائل إنه يسمع الصلاة من بعيد ممتنع فانه إن اراد وصول صوت المصلى إليه فهذه مكابرة وان اراد انه هو بحيث يسمع اصوت الخلائق من البعد فليس هذا إلا الله رب العالمين الذى يسمع اصوات العباد كلهم قال تعالى . أم يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون . وقال تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم إلى قوله إن الله بكل شىء عليم .

وليس احد من البشر بل ولا من الخلق يسمع اصوات العباد كلهم ومن قال هذا فى بشر فقوله من جنس قول النصارى الذين يقولون أن المسيح هو الله وانه يعلم ما يفعله العباد ويسمع اصواتهم ويجيب دعائهم . إلى آخر ما قال (ص ١٣١-١٣٢) .

وقال المفتى محمد شفيع .

اس آیت نے ان کے اس مشرکانہ عقیدہ کی تردید کرتے ہوئے بتلا دیا کہ علم غیب اور تمام کائنات کا ذرہ ذرہ علم محیط صرف الله

جل شانہ کی مخصوص صفت ہے اس میں کسی مخلوق کو شریک ٹھہرانا خواہ وہ فرشتہ ہو یا نبی و رسول شرک اور ظلم عظیم ہے (معارف القرآن ص ١٤٦ ، ج ٤) .

وقال فی موضع آخر بعض ناواقف غیب اور انباء الغیب میں فرق نہیں سمجھتے اس لیے وہ انبیاء اور خصوصاً خاتم الانبیاء ﷺ کے لیے علم غیب کلی ثابت کرتے ہیں اور آپ ﷺ کو بالکل اللہ تعالی کی طرح عالم الغیب ہر ذرہ کائنات کا علم رکھنے والا کہنے لگتے ہیں -

جو کھلا ہوا شرک اور رسول کو خدائی کا درجہ دینا ہے نعوذ باللہ منه . (معارف القرآن ص ٥٨٢ ، ج ٨) . وقال العلامة صدیق حسن فمن اعتقد فی نبی او ولی أو جن أو ملك أو امام أو ولد امام أو شیخ أو شهید أو منجم أو رمال أو جفار أو فاتح فال أو برهمن أو راهب أو جنیة أو خبیث أن له مثل هذا العلم وهو یعلم الغیب بعلمه ذالك فهو مشرك بالله وهو منكر لهذه الآیة القرءانیة وجاحد بها (الدین الخالص ص ٤٢٥ ، ج ١) .

فلعلك استیقنت مما ذکرنا أن العلم بحال احد من غیر مباشرة الاسباب التی خلقها الله تعالی للعلم فینا والسمع الكذائی من خواص الله تعالی والمعتقد لذلك فی غیر الله تعالی نبیا كان أو ولیا أو ملكا مقربا مشرك خارج عن دائرة الاسلام واجب الاستتابة فظهر لك أن نداء الاحیاء الغائبین أو الاموات البعیدین وطلب الغوث منهم ودعائهم والاستعانة بهم كفر واشراك بالله لیس من التوسل المباح فی شیء وهو المطلوب فلله الحمد والمنة .

وأما النحو الثالث من التوسل الغیر الشرعی .

وهو أن يأتى القبر فيقول يا سيدى فلان ادع الله لى واشفع لى وسل الله لى أن يقضى حاجتى وينجح مرادى ويدفع مصيبتى ويكشف كربتى وغيرها من الالفاظ .

فهذا فى الحقيقة استشفاع الحى بالميت وطلب الشفاعة من الميت فلا بد من الكلام على مسألة الشفاعة .

فاعلم أن الشفاعة والاستشفاع قسمان احدهما أن يكون فى الدنيا والآخر أن يكون فى الآخرة .

أما الشفاعة فى الآخرة . فالمسالك فيها أولاً مسلكان احدهما : مسلك المشركين المكذبين بالقرآن والرسول وثانيهما مسلك المؤمنين بالقرآن والرسول .

اما المشركون فقد زعموا أن هؤلاء المقربين من عباد الله يشفعون لنا عند الله ولا جائز أن لا يقبل الله شفاعتهم ويخيبهم فانهم من خواص حضرته وهم بمنزلة الابناء لله تعالى وهم مستجاب الدعوة عند الله فيقبل شفاعتهم لا محالة سواء رضى الله بتلك الشفاعة أم لا .

قال الامام الرازى ورابعها متى مات منهم رجل كبير يعتقدون أنه مجاب الدعوة ومقبول الشفاعة عند الله تعالى اتخذوا صنما على صورته يعبدونه على اعتقاد أن ذلك الانسان يكون شفيعا لهم يوم القيامة عند الله تعالى على ما اخبر الله تعالى عنهم بهذه المقالة فى قوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله (التفسير الكبير ص ٣١٨-٣١٩ ، ج ١) .

وقال الآلوسى فى تفسير قوله تعالى : ويقولون هؤلاء شفعائنا عند الله . أخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة قال كان النضر بن الحارث يقول إذا كان يوم القيامة شفعت لى اللات والعزى وفيه نزلت الآية . والظاهر أن سائر المشركين كانوا يقولون هذا القول .

ولعل ذلك منهم على سبيل الفرض والتقدير أى إن كان بعث كما زعمتم فهؤلاء يشفعون لنا . ((روح المعانى ص ٨٨ ، ج ١١) .

ويقال لهذا القسم من الشفاعة الشفاعة الشركية والشفاعة الغير الاذنية وبعض العلماء يسميها الشفاعة القهرية .

وقد بالغ القرآن فى الرد على هذا النحو من الشفاعة وشدد النكير على الزاعمين لهذه الشفاعة . قال الله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة . (بقره : ٤٨) .

وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ولاخلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون (بقره : ٢٥٤) .

وقال تعالى من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه . (بقره : ٢٥٥) .

وقال تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده إلا من أذن له . (سبا : ٢٣)

وقال تعالى وانذر به الذين يخالفون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون . (انعام : ٥١) .

وقال تعالى وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع . (انعام : ٧٠) .

وقال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولنكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء . (انعام : ٩٥) .

وقال تعالى يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا من (اعراف : ٥٣) .

وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعائنا عندالله . قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون (يونس : ١٨) .

وقال تعالى ما من شفيع إلا من بعد اذنه (يونس : ٣) .

وقال تعالى ولا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عندالرحمن عهدا . (مريم : ٨٧)

وقال تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من اذن له الرحمن ورضى له قولا . (طـه : ١٠٩)

وقال تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون (انبياء : ٢٨) .

وقال تعالى حكاية وما اضلنا إلا المجرمون . فما لنا من شافعين . (شعراء : ١٠٠) .

وقال تعالى ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين . (روم : ١٣) .

وقال تعالى وما لكم من دونه من ولى ولا شفيع . (سجده : ٤) .

وقال تعالى أتخذ من دونه آلهة أن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون . (يس : ٢٣) .

وقال تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون (زمر : ٤٣-٤٤) .

وقال تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع (مؤمن : ١٨) .

وقال تعالى : ولا يملكون الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون . (زخرف : ٨٦)

وقال تعالى : وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى . (نجم : ٢٦)

وقال تعالى : فما تنفعهم شفاعة الشافعين . (مدثر : ٤٨) .

وقال تعالى : يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من اذن له الرحمن وقال صوابا . (نبأ : ٣٨) .

وقال تعالى : يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والامر يومئذ لله . (انفطار : ١٩) .

فهذه الآيات كما ترى تنفى الشفاعة وتسد سبيلها الا من بعد أن يأذن الله .

وأما المؤمنون فهم فى مسألة الشفاعة على مذهبين احدهما مذهب المعتزلة والآخر مذهب أهل السنة والجماعة وهذا الاختلاف بعد الاتفاق بين الفريقين على أن من مات كافرا أو مشركا بالله عياذا بالله فهو محروم عن الشفاعة مطلقا ليس لاحد أن يشفع له اصلا فمذهب المعتزلة انه لا يجوز الشفاعة فى الآخرة اصلا لا للمشرك ولا للمؤمن العاصى مستدلين بتلك النصوص الواردة فى نفى الشفاعة .

وقالوا أن النصوص الواردة فى ثبوت الشفاعة والعفو عن الذنوب محمولة على العفو عن الصغائر والشفاعة لزيادة الثواب ورفعة الدرجة .

ومذهب أهل السنة والجماعة أن الشفاعة ثابتة فى حق أهل الكبائر . والصغائر لمغفرة الذنوب والمعاصي والنصوص الواردة فى

النفى محمولة على الكفار وعلى الشفاعة المزعومة لهم وهى الشفاعة الغير الاذنية .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية وهذا الموضع افترق الناس فيه ثلاث فرق طرفان ووسط فالمشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب كالنصارى ومبتدعة هذه الامة اثبتوا الشفاعة التى نفاها القرآن . والخوارج والمعتزلة انكروا شفاعة نبينا ﷺ فى أهل الكبائر من امته بل انكر طائفة من أهل البدع انتفاع الانسان بشفاعة غيره ودعائه كما انكروا انتفاعه بصدقة غيره وصيامه عنه وانكروا الشفاعة بقوله تعالى من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولاخلة ولا شفاعة ٢-٢٥٤ . وبقوله تعالى . ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ٤٠-١٨ . وغير ذلك وأما سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة فاثبتوا ما جاءت به السنة عن النبى ﷺ من شفاعته لاهل الكبائر من امته وغير ذلك من أنواع شفاعاته وشفاعة غيره من الانبياء والملائكة . (اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٤٣) لكن هذه الشفاعة مشروطة باذن الله تعالى لمن يشاء أن يأذن له .

ثم الشفاعة الثابتة عند اهل السنة والجماعة قسمان .

احدهما الشفاعة الكبرى والآخر الشفاعة الصغرى .

أما الشفاعة الكبرى فهى مختصة بنبينا محمد ﷺ وهى الشفاعة لافتتاح القضاء والحساب بين العباد يوم القيامة .

كما فى الحديث الطويل المروى عن انس رض أن النبى ﷺ قال يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو الناس خلقك

الله بيده وأسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعليك كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ـــ وهكذا يأتون فيأتون قال النبي ﷺ . فيأتوني فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله أن يدعني فيقول ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمينه ثم اشفع فيحد لي حدا إلى آخر الحديث راجع المشكاة (ص ٤٨٨ ومسلم ص ١٠٨ ، ج ١ والترمذى ص ٦٦ ، ج ٢ والدارمى ص ٣٧٨ والبخارى ص ١١٠١ ، ج ٢ وص ١١٠٨ وابن ماجة ص ٣٢٩) . وبعد تلك الشفاعة شفاعة أخرى في حق المذنبين من المؤمنين باذن الله تعالى لاخراجهم من النار . وهذه الشفاعة للأنبياء والشهداء والعلماء وسائر الصالحين والقرآن والصيام والصبيان وغير ذلك .

فلنذكرلك نبذة من الاحاديث الدالة على ما قلنا .

روى عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال ليخرجن قوم من امتى من النار بشفاعتى يسمون الجهنميين . (ترمذى ص ٨٤ ، ج ٢ مشكاة ص ٤٩٢ ابن ماجه ص ٣٣٠ عون المعبود ص ٣٧٩ ، ج ٤) . وعن انس قال قال رسول الله ﷺ شفاعتى لاهل الكبائر من امتى . (ترمذى ص ٦٦ ، ج ٢ عون المعبود ص ٣٧٩ ، ج ٤) وعن أبي هريرة رض أن رسول الله ﷺ قال لكل نبي دعوة يدعوها فأريد أن اختبيء دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة (مسلم ص ١١٢ ، ج ١ دارمى ص ٣٧٨ بخارى ص ١١١٣ ، ج ٢) . وعن عبدالله بن أبي الجدعاء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من امتى

اكثر من بنى تميم قالوا سواك يا رسول الله قال سواى (دارمى ص ٣٧٩ ترمذى ص ٦٧ ، ج ٢ ابن ماجه ص ٣٣٠ مشكاة ص ٤٩٤) .

وعن ابى سعيد أن رسول الله ﷺ قال إن من امتى من يشفع للفئام من الناس ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة (ترمذى ٦٧ ، ج ٢ مشكاة ٤٩٤) وعن المقدام بن معديكرب عن النبى ﷺ أن الشهيد يشفع فى سبعين من اقاربه (ترمذى ص ٢٠٠ ، ج ١ مشكاة ص ٣٣٣ ابن ماجة ٢٠٦) .

وعن عثمان بن عفان قال قال رسول الله ﷺ يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء . (ابن ماجه ص ٣٣٠ مشكاة ص ٤٩٥) .

وعن على قال قال رسول الله ﷺ من قرأ القرآن فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار . (مشكاة ٢٠٣)

وعن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام أى رب انى منعته الطعام والشهوات بالنهار . فشفعنى فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان . رواه البيهقى فى شعب الايمان (مشكاة ص ١٨٩) صوم .

وروى عن على قال قال رسول الله ﷺ أن السقط ليراغم ربه إذا ادخل ابويه النار فيقال ايها السقط المراغم ربه ادخل ابويك الجنة فيجرهما بسرره حتى يدخلهما الجنة وعن معاذ بن جبل عن النبى ﷺ قال والذى نفسى بيده أن السقط ليجرامه بسرره إلى الجنة إذا احتسبته . (ابن ماجه ص ١١٦ ومشكاة ١٦٨) .

وعن انس قال قال رسول الله ﷺ يصف أهـل النار فيمربهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان اما تعرفنى انا الذى سقيتك شربة وقال انا الذى وهبت لك وضوء فيشفع له فيدخله الجنة رواه ابن ماجة . (مشكاة ص ٤٩٤) وان شئت الاستقصاء فى هـذه المسألة فراجع إلى التفسير الكبير للامام الرازى (ص ٥٥ ، ج ٣ إلى ص ٦٥ بقرة آية ٤٨) .

وأما الشفاعة والاستشفاع فى الدنيا .

فهو ثلاثة اقسام احدها استشفاع الحى بالحى وشفاعته له والثانى شفاعة الحى للميت والثالث . استشفاع الحى بالميت وشفاعته له .

أما استشفاع الحى بالحى فهو ثابت بالقرآن والحديث واجماع الامة المسلمة لا مجال لأحد أن ينكر عنه وقد مر منا بعض امثلته فى قسم التوسل بدعاء الغير فتذكره .

وأما شفاعة الحى للميت فأيضاً ثابت بالقرآن والحديث لا يمكن الانكار عنه كالصلاة على الجنازة والادعية المنقولة عنه ﷺ فى صلاة الجنازة والمنقولة عنه فى زيارة قبور المسلمين وأما استشفاع الحى بالميت بأن يأتى القبر ويطلب من المقبور الشفاعة والدعاء وهو الثالث من انحاء التوسل الغير الشرعى فهذا أيضاً ليس من التوسل المباح فى شىء بل هو بـدعة محرمة أو اشراك بالله تعالى اعاذنا الله من ذلك .

وبيانه من وجوه .

الوجه الاول انا قد حققنا فيما سلف أن الدعاء والاستعانة عبادة بل من أجل العبادات وقـد علم فى موضعه أن مبنى العبادة على النقل

والاستنان والتأسى والاتباع دون التشهى والابتداع فكل ما لم ينقل ولم يعهد من السنة لا يجوز فعله . راجع إلى تأليفنا عقد اللآلى والدرر الدرة السادسة عشرة .

قال الحافظ ابن الهمام يكره النوم عند القبر وقضاء الحاجة بل اولى وكل ما لم يعهد من السنة والمعهود منها ليس الا زيارتها والدعاء عندها قائما كما كان يفعل النبى ﷺ فتح القدير (ص ٤٧٣ ، ج ١) وكذا فى البحر الرائق (ص ١٩٦ ، ج ٢ والكبيرى ص ٥١٠ ومبسوط السرخسى ص ٦٢ ، ج ٢) .

ثم المأثور والمنقول لنا من النبى ﷺ قولا وفعلا انما هو اتيان قبور المسلمين وقصدها وزيارتها لأجل السلام عليهم والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة والاتعاظ والاعتبار بحالهم فالغرض الشرعى فى اتيان القبور وقصدها انما هو الامر أن احدهما راجع إلى المزور وهو الدعاء لأهلها والسلام عليهم .

والآخر راجع إلى الزائر وهو الاتعاظ والاعتبار بحالهم والتزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة . روى عن عائشةرض انها قالت كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين واتاكم ما توعدون غداً مؤجلون وانا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد . (مسلم ص ٣١٣ ، ج ١ مشكاة ص ١٦٩) .

وعن عائشة قالت قلت كيف أقول لهم يا رسول الله قال قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين

منا والمستأخرين وانا إن شاء الله بكم لاحقون . (مسلم ص ١١٤ ، ج ١ مشكاة ص ١٦٩) .

وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة . (رواه ابن ماجة مشكاة ص ١٦٩) .

قال الحافظ ابن القيم كان رسول الله ﷺ إذا زار قبور أصحابه يزورها للدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار لهم وهذه هى الزيارة التى سنها لأمته وشرعها لهم وامرهم أن يقولوا إذا زاروها السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية وكان هديه أن يقول ويفعل عند زيارتها من جنس ما يقوله عند الصلاة على الميت من الدعاء والترحم والاستغفار فأبى المشركون إلا دعاء الميت والاشراك به والاقسام على الله به وسؤاله الحوائج والاستعانة به والتوجه إليه بعكس هديه ﷺ فانه هدى توحيد واحسان إلى الميت وهدى هؤلاء شرك واساءة إلى نفوسهم وإلى الميت وهم ثلاثة اقسام أما أن يدعوا الميت أو يدعوا به أو عنده ويرون الدعاء عنده اجوب واولى من الدعاء فى المساجد .

ومن تأمل هدى رسول الله ﷺ وأصحابه تبين له الفرق بين الامرين وبالله التوفيق . زاد المعاد بهامش الزرقانى ص ٨٨ ، ج ٢ وفى نسخة على حدة (ص ٣٠٣ ، ج ١) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية ولهذا كانت زيارة قبور المسلمين على وجهين زيارة شرعية وزيارة بدعية فالزيارة الشرعية أن يكون مقصود

الزائر الدعاء للميت كما يقصد بالصلاة على جنازته الدعاء له فالقيام على قبره من جنس الصلاة عليه .

قال الله تعالى فى المنافقين ولا تصل على احد منهم مات ابـدا ولا تقم على قبره) فنهى نبيه عن الصلاة عليهم والقيام على قبورهم لانهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم كافرون فلما نهى عن هذا وهـذا لاجل هذه العلة وهى الـكفر دل ذلك على انتفاء هذا النهى عند انتفاء هذه العلة ودل تخصيصهم بالنهى على أن غيرهم يصلى عليه ويقام على قبره ولهذا كانت الصلاة على الموتى من المؤمنين والقيام على قبورهم من السنة المتواترة فكان النبي ﷺ يصلى على موتى المسلمين وشرع ذلك لأمته .

وكان إذا دفن الرجل من امته يقوم على قبره ويقول سلوا له التثبيت فانه الآن يسئل (رواه أبو داؤد) .

وقد كان يزور قبور أهل البقيع والشهداء باحد ويعلم أصحابـه إذا زاروا القبور أن يقول احدهم السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا إن شاء الله بـكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولـكم العافية اللهم لا تحرمنا اجرهم ولا تفتنا بعدهم .

وفى صحيح مسلم عن أبي هريرة رض أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا إن شاء الله بـكم لاحقون . والاحاديث فى ذلك صحيحة معروفة . فهذه الزيارة لقبور المؤمنين مقصودها الدعاء لهم وهذه غير الزيارة المشتركة التى تجوز فى قبور الـكفار كما ثبت فى مسلم وأبى داؤد والنسائى وابن ماجة عن

أبي هريرة رضي أنه قال اتى رسول الله ﷺ قبر امه فبكى وابكى من حوله ثم قال استأذنت ربي في أن استغفرلها فلم يأذن لي فاستأذنت أن ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكركم الآخرة .

فهذه الزيارة التي تنفع في تذكير الموت تشرع ولو كان المقبور كافراً بخلاف الزيارة التي يقصد بها الدعاء للميت فتلك لا تشرع إلا في حق المؤمنين وأما الزيارة البدعية فهي التي يقصد بها أن يطلب من الميت الحوائج أو يطلب منه الدعاء والشفاعة أو يقصد الدعاء عند قبره لظن القاصد أن ذلك اجوب للدعاء فالزيارة على هذه الوجوه كلها مبتدعة لم يشرعها النبي ﷺ ولا فعلها الصحابة لا عند قبره ﷺ ولا عند قبر غيره وهي من جنس الشرك وأسباب الشرك . (القاعدة الجليلة ص ٢٠) واقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٢٧) وقال الشوكاني ومن أنواع الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة والتوجه اليهم وهذا اصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً لمن استغاث به او سأله قضاء حاجته أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها. (الدر النضيد ص ٤٠) . أقول فاستبان لك بما ذكرنا أن قصد القبور واتيانها وزيارتها للاستشفاع وطلب الدعاء والشفاعة من أهلها ليس مما نقل الينا من رسول الله ﷺ وأصحابه بل هو مخالف لما شرع لنا رسول الله ﷺ وسنه لنا في حق قبور المؤمنين وزيارتها فكان بدعة محرمة بل شركا أو من اسبابه وهو المطلوب .

والوجه الثاني أن الذين يأتون القبور ويقصدونها لطلب الشفاعة منهم وطلب الدعاء في جناب الله تعالى لا يكتفون بمجرد طلب الدعاء وطلب الشفاعة بل يصدر عنهم هنالك ما يجب اخلاصه لله تعالى وبيته

المحرم من الافعال والاقوال التعبدية من الركوع للقبور والسجود وتعفير الخدود بها واستلامها وامرار احجارها على الابدان والذبح لهم وايقاد السرج والتخضع والطواف بها .

ولا شك أن كل ذلك أما شرك بالله عز وجل أو بدعة محرمة يجب الاجتناب عنه .

قال فى تيسير العزيز الحميد وأما القبور المعروفة أو المتوهمة فافعالهم معها وعندها لا يمكن حصرها . فكثير منهم إذا راوا القباب التى يقصدونها كشفوا الرءوس فنزلوا من الاكوار فاذا اتوها طافوا بها واستلموا اركانها وتمسحوا بها وصلوا عندها ركعتين وحلقوا عندها الرءوس ووقفوا باكين متذللين متضرعين سائلين مطالبهم وهذا هو الحج. وكثير منهم يسجدون لها اذا رأوها ويعفرون وجوههم فى التراب تعظيماً لها وخضوعاً لمن فيها فان كان للانسان منهم حاجة من شفاء مريض أو غير ذلك نادى صاحب القبر يا سيدى فلان جئتك قاصداً من مكان بعيد لا تخيبنى وكذلك إذا قحط المطر أو عقرت المرأة عن الولد أو دهمهم العدو أو جراد فزعوا إلى صاحب القبر وبكوا عنده فان جرى المقدور بحصول شيء مما يريدون استبشروا وفرحوا ونسبوا ذلك إلى صاحب القبر .

وإن لم يتيسر شيء من ذلك اعتذروا عن صاحب القبر بانه أما غائب فى مكان آخر أو ساخط لبعض اعمالهم أو أن اعتقادهم فى الولى ضعيف أو انهم لم يعطوه نذره ونحو هذه الخرافات (ص ١٨٦) .

فلما كان اتيان القبور وقصدها لطلب الدعاء والشفاعة منهم يجر

بصاحبه إلى ارتكاب هذه القبائح كان قبيحاً وحراماً من هــذا الوجه أيضاً وهو المطلوب .

والوجه الثالث أن هذا الاعتقاد والزعم وهو أن المقبور يقدر على الدعاء للزائر والشفاعة له ويسمع استغاثة الزائر ويسعى فى انجاح حاجة الزائر بالشفاعة والسؤال فى جنابه تعالى . هو الذى أوقع الناس فى عبادة القبور والاشراك بها وهو مبدأ شركهم وكفرهم .

ومن المعلوم بالاضطرار فى دين الاسلام أن ما يفضى إلى الحرام ويجر بصاحبه إلى الشرك والكفر فهو حرام يجب الاجتناب عنه ولذلك بالغ القرآن فى نفى هذه الشفاعة الشركية المزعومة للمشركين وشدد النكير على الزاعمين لها كما اسلفنا لك سابقاً فتذكره .

وصرح أهل العلم بان قصد القبور لطلب الشفاعة والدعاء من اهلها شرك أو بدعة محرمة .

قال شيخ الاسلام ابن تيميه والثانى أن يراد بذلك نفى الشفاعة التى اثبتها أهل الشرك ومن شابههم من أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين الذين يظنون أن للخلق عندالله من القدر أن يشفعوا عنده بغير اذنه كما يشفع الناس بعضهم عند بعض فيقبل المشفوع إليه شفاعة شافع لحاجته إليه رغبة ورهبة كما يعامل المخلوق بالمعاوضة فالمشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعآء من الملائكة والانبياء والصالحين ويصورون تماثيلهم فيستشفعون بها ويقولون هؤلاء خواص الله فنحن نتوسل إلى الله بدعاءهم وعبادتهم ليشفعولنا كما يتوسل إلى الملوك بخواصهم لكونهم اقرب إلى الملوك من غيرهم فيشفعون عند الملوك بغير اذن الملوك وقد يشفع احدهم عند الملك فى ما لا يختاره فيحتاج

إلى اجابة شفاعته رغبة ورهبة فانكر الله هذه الشفاعة ثم ساق الآيات التي وردت فى نفى الشفاعة إلى أن قال :

فهذه الشفاعة التى اثبتها المشركون للملائكة والانبياء والصالحين حتى صوروا تماثيلهم وقالوا استشفاعنا بتماثيلهم استشفاع بهم وكذلك قصدوا قبورهم وقالوا نحن نستشفع بهم بعد مماتهم ليشفعوا لنا إلى الله وصوروا تماثيلهم فعبدوهم كذلك وهذه الشفاعة ابطلها الله ورسوله وذم المشركين عليها وكفرهم بها . قال الله تعالى عن قوم نوح عليه السلام .

وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ، وقد اضلوا كثيراً .

قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره هؤلاء قوم صالحون كانوا فى قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فعبدوهم وهذه ابطلها النبى ﷺ وحسم مادتها وسد ذريعتها حتى لعن من اتخذ قبور الانبياء والصالحين مساجد يصلى فيها وإن كان المصلى لا يستشفع بهم ونهى عن الصلاة إلى القبور . (القاعدة الجليلة ص ٨-٩) .

وقال الحافظ ابن القيم . وأما الزيارة الشركية فأصلها مأخوذ عن عباد الاصنام . قالوا الميت المعظم الذى لروحه قرب ومنزلة ومزية عندالله لا يزال تأتيه الالطاف من الله تعالى وتفيض على روحه الخيرات فاذا علق الزائر روحه به وادناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الالطاف بواسطتها كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له قالوا فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه إلى الميت ويعكف بهمته عليه ويوجه قصده كله واقباله عليه بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره وكلما كان

جمع الهمة والقلب عليه اعظم كان اقرب إلى انتفاعه به وقال وهذا الذى ذكره هؤلاء المشركون فى زيارة القبور هو الشفاعة التى ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عندالله تعالى .

قالوا فان العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عندالله وتوجه بهمته اليه وعكف بقلبه عليه صار بينه وبينه اتصال يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان فهو شديدا لتعلق به فما يحصل لذلك من السلطان من الانعام والافضال ينال ذلك المتعلق به بسبب تعلقه .

فهذا سر عبادة الاصنام وهو الذى بعث الله رسله وانزل كتبه بابطاله وتكفير أصحابه ولعنهم واباح دماءهم وأموالهم وسبى ذراريهم واوجب لهم النار والقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الرد على اهله وابطال مذهبهم . (الاغاثة ص ٢٣٧ ، ج ١) .

وقال العلامة الآلوسى ومنهم من يقول للغائب أو الميت من عباد الله تعالى الصالحين يا فلان ادع الله تعالى ليرزقنى كذا وكذا ويزعمون أن ذلك من باب ابتغاء الوسيلة ويروون عن النبى ﷺ أنه قال إذا اعيتكم الامور فعليكم بأهل القبور أو فاستغيثوا بأهل القبور وكل ذلك بعيد عن الحق بمراحل وتحقيق الكلام فى هذا المقام أن الاستغاثة بمخلوق وجعله وسيلة بمعنى طلب الدعاء منه لا شك فى جوازه، إن كان المطلوب منه حياً ولا يتوقف على افضليته من الطالب بل قد يطلب الفاضل من المفضول وأما إذا كان المطلوب منه ميتاً أو غائباً فلا يستريب عالم أنه غير جائز وأنه من البدع التى لم يفعلها احد من السلف . (روح المعانى ص ١٢٥ ، ج ٦) .

فظهر لك بما ذكرنا أن طاب الشفاعة من الميت هو الذى اوقع عباد القبور فى عبادة القبور وانه كان مبدأ الاشراك بالصالحين فى العالم وأن العلماء قد صرحوا بكونه شركا أو بدعة محرمة فيجب الاجتناب عنه . عصمنا الله بفضله وكرمه ولله الحمد والمنة .

والوجه الرابع أن عباد القبور المستشفعين بالاموات يعتقدون أن أهل المقابر يسمعون كل قول فى كل وقت فيسمعون استغاثتنا واستشفاعنا فى كل وقت ويقدرون على طلب الشفاعة لنا .

وهذا الزعم باطل باتفاق المسلمين لانه لم يقل احد من السلف والخلف أن كل ميت يسمع كل قول فى كل وقت فالمبنى على هـذا الباطل أيضاً باطل .

ثم اعلم أن مسألة سماع الموتى قد اختلف فيها من عصر الصحابة رض إلى يومنا هذا ومذهب عامة الاحناف هو القول بعدم سماع الموتى كما هو مصرح فى كتاب الايمان من كتبهم .

والنصوص القرآنية تدل ظاهرا على أن الموتى لا يسمعون كلام الاحياء وهو الذى اذهب إليه وهو الاشبه بالصواب عندى .

قال الله تعالى انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين (نمل ص ٨٠) . وقال تعالى فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين (روم : ٥٠) .

وقال تعالى وما يستوى الاحياء ولا الاموات أن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور (فاطر : ٢٢) .

وقال تعالى انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون (انعام : ١٦) .

وقال تعالى إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم الآية (فاطر : ١٤) .

وقال تعالى : ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . (احقاف : ٥) .

أقول فهذه الآيات تدل صريحاً على أن الموتى لا يسمعون كلام الاحياء لأن النبي ﷺ لما لم يقدر على اسماع الموتى فأى شخص سواه يقدر عليه .

ثم الاستدلال بهذه الآيات على نفى سماع الموتى من طريقين .

الطريق الاول أن تحمل هذه الآيات على الحقيقة وتجعل اصلا فى نفى السماع عن الاموات ويراد بالموتى وبمن فى القبور المعنى الحقيقى ويدل ما يدل على خلاف ذلك من الاحاديث والآثار كما ذهبت إليه أم المؤمنين عائشة رض وغيرها من الصحابة وسائر أهل العلم قال الحافظ ابن حجر وقد اختلف أهل التأويل فى المراد بالموتى فى قوله تعالى انك لا تسمع الموتى وكذلك المراد بمن فى القبور فحملته عائشة رض على الحقيقة وجعلته اصلاً احتاجت معه إلى تأويل قوله عليه السلام ما انتم اسمع لما اقول منهم وهذا قول الاكثر .

وقيل هو مجاز والمراد بالموتى وبمن فى القبور الكفار شبهوا بالموتى وهم أحياء والمعنى هم فى حال الموتى أو فى حال من سكن القبر وعلى هذا لا يبقى فى الآية دليل على ما نفته عائشة رضى الله عنها (فتح البارى ص ٢٣٦ ، ج ٧) مغازى .

والطريق الثانى أن يقال أن الكلام فى هذه الآية محمول على

الاستعارة المصرحة وهي أن يذكر المشبه به ويراد منه المشبه كما في رأيت اسداً يرمى أو رأيت اسدا فى الحمام .

وكقول الشاعر :

لدى اسد شاكى السلاح مقذف ــ له لبد اظفاره لم تقلم .

فشبه ههنا الكفار بالاموات فذكر المشبه به اعنى الموتى واريد المشبه اعنى الكفار ووجه التشبيه هو المشاركة فى عدم السماع فارادة الكفار من الموتى بطريق الاستعارة التصريحة إنما يصح إذا كان حال الموتى انهم لا يسمعون والا لايصح التشبيه كما لا يخفى على من له خبرة بفنون الاستعارة .

فان قلت لا يكاد ان يصح هذا الكلام لأنه لا يصح تشبيه الكفار بالموتى فى عدم السماع لان التشبيه لا بد فيه من اشتراك الطرفين فى وجه الشبه وهو منتف ههنا لان الكفار كانوا اصحاء سمعاء يسمعون كلام النبي ﷺ .

وكذا سائر الاصوات والكلم وإذا لم يصح التشبيه لم تصح الاستعارة التصريحة المبنية على التشبيه كما لا يخفى .

قلت بتوفيق الله تعالى أنه قد تقرر فى علم البيان أن وجه الشبه قد يشترك فيه الطرفان تحقيقا وقد يكون فى احد الطرفين تحقيقا وفى الآخر تخيلا وتأويلا وادعاء كما فى قول القاضى التنوخى .

وكان النجوم بين دجاها
سنن لاح بينهن ابتداع

فان وجه الشبه فى هذا التشبيه هو الهيئة الحاصلة من حصول

اشياء مشرقة بيض فى جوانب شيء مظلم اسود فتلك الهيئة غير موجودة فى المشبه به إلا على طريق التخييل راجع إلى شرح التلخيص للتفتازانى ؛

وكما فى الحديث المروى عن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله ﷺ مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الاترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر . (مشكاة ص ٢٠١ مسلم ص ٢٦٩ ، ج ١ بخارى ص ٧٥١ ، ج ٢) .

فان وجه الشبه فى هذه التمثيلات ليس موجودا فى المشبه تحقيقا بل موجود تقديرا وتأويلا . فالامر فى ما نحن فيه اعنى فى تشبيه الكفار بالموتى أيضاً كذلك لأن الكفار وإن كانوا يسمعون كلام الرسول ﷺ والقرآن تحقيقا لكن هذا السماع الموجود فيهم منزل منزلة العدم .

لأن الغرض من سماع كلام النبى ﷺ والقرآن انما هو الايمان والعمل ولما لم يترتب هذه الفائدة على سماع الكفار جعلوا كأنهم لا يسمعون كلام النبى ﷺ اصلاً فلذلك شبههم الله تعالى بالموتى وقال لنبيه ﷺ .

انك لا تسمع هؤلاء الكفار كما انك لا تقدر على أن تسمع الموتى تسلية له ﷺ وهذا مطرد فى القرآن .

قال الله تعالى : صم بكم عمى فهم لا يرجعون .

ففى هذه الآية أيضاً لما لم يترتب على آذانهم وألسنتهم وابصارهم الاغراض المعتد بها نزلوا منزلة الفاقدين لتلك القوى .

قال العلامة الزمخشرى كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة إلى الحق مسامعهم وابوا أن ينطقوا به السنتهم وإن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التى بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله .

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به
وأن ذكرت بسوء عندهم اذنو
اصم عن الشيء الذى لا أريده
واسمع خلق الله حين اريد

(تفسير كشاف ص ٢٠٣ ، ج ١) .

وقال العلامة الآلوسى وهم وإن كانوا سمعاء الآذان فصحاء الالسن بصرا الاعين إلا انهم لما لم يصيخوا للحق وابت أن تنطق بسائره السنتهم ولم يتلمحوا ادلة الهدى المنصوبة فى الآفاق والانفس وصفوا بما به من الصمم والبكم والعمى على حد قوله :

اعمى إذا ما جا رتى برزت
حتى يوارى جارتى الخدر
واصم عما كان بينهما
واذنى وما فى سمعها وقر

(تفسير روح المعانى ص ١٦٩ ، ج ١) .

وقال الفاضل اللاهورى والجامع فقدان ثمرتها . (شرح بيضاوى ص ١٩٨) .

وقال الامام الرازى أعلم أنه لما كان المعلوم من حالهم انهم

كانوا يسمعون وينطقون ويبصرون امتنع حمل ذلك على الحقيقة فلم يبق إلا تشبيه حالهم لشدة تمسكهم بالعناد واعراضهم عما يطرق سمعهم من القرءان وما يظهره الرسول من الادلة والآيات بمن هو اصم فى الحقيقة فلا يسمع وإذا لم يسمع لم يتمكن من الجواب فلذلك جعله بمنزلة إلا بكم وإذا لم ينتفع بالادلة ولم يبصر طريق الرشد فهو بمنزلة الاعمى . (تفسير كبير ص ٧٦ ، ج ٢) .

وها انا اذكر لك أقوال بعض الاجلة من أهل العلم فى هـذه المسألة اعنى مسألة سماع الموتى فأقول قال ابن الهمام يعنى إذا حلف لا يكلمه اقتصر على الحياة فلو كلمه بعد موته لا يحنث لان المقصود منه الافهام والموت ينافيه لانه لا يسمع فلا يفهم واورد انه ﷺ قال لاهل القليب قليب بدر هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقال عمر رض اتكلم الموتى يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ والذى نفسى بيده ما انتم باسمع لما اقول من هؤلاء أو منهم واجيب بانه غير ثابت يعنى من جهة المعنى وإلا فهو فى الصحيح وذلك بسبب أن عائشة رض ردته بقوله تعالى وما أنت بمسمع من فى القبور . انك لا تسمع الموتى وبأنه انما قاله على وجه الموعظة للاحياء لا لافهام الموتى .

كما روى عن على رض أنه قال السلام عليكم دار قوم مؤمنين اما نساءكم فنكحت وأما أموالكم فقسمت وأما دوركم فقد سكنت فهذا خبركم عندنا فما خبرنا عندكم .

وبانه مخصوص بأولئك تضعيفا للحسرة عليهم لكن بقى أنه روى عنه ﷺ أن الميت يسمع خفق نعالهم إذا انصرفوا ولينظر فى كتاب الجنائز من هذا الشرح . (فتح القدير ص ٤٦١ ، ج ٤) الايمان .

وقال أيضاً وعندى أن مبنى ارتكاب هذا المجاز هنا عند أكثر مشائخنا هو أن الميت لا يسمع عندهم على ما صرحوا به فى كتاب الايمان فى باب اليمين بالضرب لو حلف لا يكلمه فكلمه ميتا لا يحنث لانها تنعقد على ما بحيث يفهم والميت ليس كذلك لعدم السماع .

واورد قوله ﷺ فى أهل القليب ما أنتم باسمع لما أقول منهم .

واجابوا تارة بانه مردود من عائشة رض قالت كيف يقول ﷺ ذلك والله يقول وما أنت بمسمع من فى القبور انك لا تسمع الموتى وتارة بان تلك خصوصية له ﷺ معجزة وزيادة حسرة على الكافرين وتارة بانه من ضرب المثل كما قاله على رضى الله عنه .

ويشكل عليهم ما فى مسلم أن الميت يسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا . اللهم إلا أن يخصوا ذلك بأول الوضع فى القبر مقدمة للسؤال جمعا بينه وبين الآيتين فانهما تفيدان تحقيق عدم سماعهم فانه تعالى شبه الكفار بالموتى لافادة تعذر سماعهم وهو فرع عدم سماع الموتى . (فتح القدير ص ٦٩ ، ج ٢) الجنائز .

وهكذا فى الكافى شرح الوافى والعينى شرح الكنز راجع مائة مسائل (للشاه اسحق ص ٤٥-٥٠) .

وقال العلامة الشيخ رشيد أحمد . قوله السلام عليكم يا أهل القبور استدل بظاهره من قال بسماعهم ومنهم عمرو ابنه رض وأيضاً فلهم من الروايات ما ورد أن الميت يسمع خفق نعالهم إذ يحضر عنده ملكان نكير ومنكر والجواب أن ذلك كناية عن سرعة اتيانهما بعد الدفن لا حقيقة .

ومن انكر سماعهم تشبث بتوسط الملائكة لتصحيح الخطاب واستدل المنكرون ومنهم عائشةرض وابن عباسرض ومنهم الامام بقوله تعالى انك لا تسمع الموتى . فانه لما شبه الكفار بالاموات فى عدم السماع علم أن الاموات لا يسمعون وإلا لم يصح التشبيه .

وما قال المثبتون أن خطاب النبى ﷺ لأهل بدر على رأس القليب ينادى على ثبوت السماع اعلى نداء فاجاب عنه المنكرون بعضهم بانه من خصوصياته ﷺ بكفار بدر رد الله سبحانه ارواحهم فى اجسامهم ليسمعوا خطابه تنكيتا لهم وتبكيتاً وتزيداً فى عذابهم وقال بعضهم انما خاطبهم النبى ﷺ ليغيظ بذلك المشركون من قريش ومعنى قوله لعمر . ما أنت باسمع أى بأعلم منهم فسرته بذلك عائشة رضى الله عنها فلا يكون دليلا على السماع. فالظاهر انكار السماع وهو الاصح عندنا . الكوكب الدرى (ص ٣١٩ ، ج ١) .

وقال أيضاً ولا يقول بسماع الموتى أمامنا أبو حنيفة لقوله تعالى ما انت بمسمع من فى القبور ولا يلزم من تعلق الروح بابدانهم سماعهم مع أن الحى إذا دفن فى القبور لا يسمع أيضاً وأجاب من حديث يسمع قرع نعالهم أن المعنى فى مقدار أن يذهبوا حتى لو كان حى هناك يسمع قرع نعالهم بجيء الملكان .

ويمكن أن يقال أنه لو سلم السماع من هذا الحديث فيثبت سماع القرع ثم بعده ليس فى الحديث دلالة عليه فيثبت على الاصل وأما قول عمررض كيف تكلم اجساد الأرواح فيها ولم يرد عليه النبى ﷺ فى أنه لا ارواح فيها فيفهم أنه ليس للارواح تعلق مثل التعلق الدنيوى .

وأما قوله عليه السلام ما انتم باسمع فردته عائشة على عمر وقد

قالت بتأويل حديث السمع أن المراد أعلم حتى لا يقابل بالنص القطعى ويمكن حمل هذا على الخصوصية كما يدل عليه قوله عليه السلام لما أقول منهم بتخصيص ضمير منهم ولم يقل أن الاموات يسمعون وأما أحاديث السلام على الاموات فيحمل على أنه يفضى الملائكة اليهم وأما عدم الايصال فى السلام على القبور فلم نقل به لعدم الدليل تقرير الجنجوهى على صحيح مسلم (ص ٦٣) .

قال الكرمانى وكان حديث ما انتم باسمع منهم . لم يثبت عندها ومذهبها أن أهل القبور يعلمون ما سمعوا قبل الموت ولا يسمعون بعد الموت وقال ابن التين لا معارضة بين حديث ابن عمر والآية لان الموتى لا يسمعون لا شك لكن إذا اراد الله اسماع ما ليس من شأنه السماع لم يمتنع لقوله تعالى انا عرضنا الامانة . الآية وقوله تعالى فقال لها وللارض أئتيا طوعاً . الآية وأن النار اشتكت إلى ربها ويكون معنى قوله تعالى انك لا تسمع الموتى مثل قوله انك لا تهدى من احببت . (عينى شرح البخارى ص ٢٠٢ ، ج ٨) .

وقال العلامة شبير أحمد . ٹھیک اسی طرح انك لا تسمع الموتى کا مطلب سمجھو یعنی تم یہ نہیں کر سکتے کہ کچھ بولو اور اپنی آواز مردے کو سنا دو کیونکہ یہ چیز ظاهری اور عادی اسباب کے خلاف ہے البتہ حق تعالی کی قدرت سے ظاهری اسباب کے خلاف تمھاری کوئی بات مردہ سن لے اس کا انکار کوئی مؤمن نہیں کر سکتا اب نصوص سے جن باتوں کا اس غیر معمولی طریقہ سے سننا ثابت ہو جائے گا اسی حد تک ہم کو سماع موتی کا قائل ہونا چاهیئے ۔ محض قیاس کرکے دوسری باتوں کو سماع کے تحت میں نہیں لا سکتے .

تفسير عثمانى سورة روم آية ٥٢ .

ومثله قال بأبسط من هذا فى شرح مسلم فتح الماهم (ص ٤٧٩، ج ٢) :

وقد بسط الكلام فى هذه المسألة أحسن البسط العلامة الآلوسى فى تفسيره روح المعانى واستوفى الدلائل من الجانبين وقال فى آخره ولا يلزم من وجود ذلك التعلق والقول بوجود قوة السمع ونحوه فيها نفسها أن تسمع كل مسموع لما أن السماع مطلقا وكذا سائر الاحساسات ليس الا تابعاً للمشيئة فما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن فيقتصر على القول بسماع ما ورد السمع بسماعه من السلام ونحوه وهذا الوجه هو الذى يترجح عندى ولا يلزم عليه التزام القول بان ارواح الموتى مطلقا فى افنية القبور لما أن مدار السماع على مشيئة الله تعالى والتعلق الذى لا يعلم كيفيته وحقيقته إلا هو عز وجل فلتكن الروح حيث شاءت أو لم تكن فى مكان كما هو رأى من يقول بتجردها . (روح المعانى ص ٥٥-٥٨ ، ج ٢١) .

أقول فتحصل لك مما ذكرنا من النقول أن القائل بسماع الموتى لا يقول بسماع كل قول فى كل وقت ولا أن ذلك السماع على وفق العادة بل انما يقول بالسماع فى الجملة على سبيل خرق العادة الالهيه .

فاعتقاد عباد القبور بسماع الاموات مطلقا اعتقاد باطل فالمبنى على هذا الاعتقاد وهو الاستشفاع وطلب الدعاء منهم أيضاً يكون باطلا وهو المطلوب .

ولى من عند نفسى طريق ذوقى لاثبات عدم سماع الاموات كلام الاحياء وبيانه بعد تحقيق معنى القبر والحياة فيه .

اعلم أن القبر وإن كان يطلق على هذه الحفرة فى الأرض المسماة باللحد والشق كما فى الاحاديث الواردة فى زيارة القبور وغيرها .

لكن القبر فى الحقيقة عبارة عن عالم البرزخ وهو عالم متوسط بين الدنيا والآخرة محتجب عن الدنيا وله تعلق بعالم الجنة والنار كما فى الاحاديث الواردة فى التعذيب والتنعيم فى القبر واتيان الملكين والسؤال والجواب وكما فى حديث فافرشوه من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين .

وما ورد فى حق الكافر فافرشوه من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى يختلف فيه اضلاعه وغير ذلك . (راجع مشكاة ص ٢٦) عذاب القبر .

فانه لو كان المراد من القبر فى مسألة السؤال والجواب والتعذيب والتنعيم هذه الحفرة يلزم أن لا يكون من أكله السباع أو احرق بالنار وذرى رماده فى البحر مثلا وكل من لا يكون مدفونا فى القبر مسئولا ولا معذبا ولا منعما لان تحقق هذه الأمور فى القبر فرع وجود الدفن فى القبر وإذ ليس فليس .

واللازم باطل باجماع أهل الحق فالملزوم مثله .

وأيضاً لا معنى لفتح الباب إلى الجنة والنار ولا لكونه بحيث يفسح له سبعون فى سبعين لأنه لو كان المراد بالقبر هو هذا الشق واللحد فى الأرض فهذه الأمور مخالفة عن مشاهدة الحس فيلزم رفع الامان عن حكم الحس فثبت أن ليس المراد بالقبر هذه الحفرة وليس مستقر الاموات هذه القبور الأرضية بل المراد به هو عالم البرزخ

ومستقر الاموات بعد الموت انما هو هذا العالم والحياة فى القبر انما هو الحياة البرزخية وهـذه الأمـور الواردة فى الاحاديث انمـا هى تعبيرات عن نحو حياته البرزخية ولا يعلم كنه هذه الأمور احد فى الدنيا .

ولنضع قدامك تصريحات بعض الاجلة على ما ذكرنا فنقول قال القارئ فى المرقات فى شرح قوله عليه السلام إذا سئل فى القبر . التخصيص للعادة أو كل موضع فيه مقره فهو قبره (ص ١٩٧ ، ج ١) .

وقال الشيخ عبدالحق والمراد بالقبر هنا عالم البرزخ وهو عالم بين الدنيا والآخرة له تعلق بكل منهما وليس المراد به الحفرة التى يدفن فيه الميت فرب ميت لا يدفن كالغريق والمحروق والمأكول فى بطن الحيوانات يعذب وينعم ويسئل وقال وقد يراد بعذاب القبر حال للعبد فى البرزخ مطلقا سواء كان تنعيما أو تعذيبا وصار اسماً لتلك الحالة تغليبا : (اللمعات ص ١٨٩ ، ج ١) .

وقال الحافظ ابن القيم ينبغى أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه وهو ما بين الدنيا والآخرة . قال تعالى : ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون (كتاب الروح ص ٧٣) .

وقال فيه ومما ينبغى أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أو لم يقبر فلو أكلته السباع أو احرق حتى صار رماداً ونسف فى الهواء أو صلب أو غرق فى البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور (ص ٥٨) .

وقال فيه وأما البرزخ فأول دار الجزاء فظهر فيها من ذلك ما

يليق بتلك الدار وقال فعذاب البرزخ ونعيمه أول عذاب الآخرة ونعيمها وهو مشتق منه وواصل إلى أهل البرزخ هناك (ص ٧٤) .

وقال الآلوسى فى تفسير قوله تعالى بل احياء ولكن لا تشعرون . (بقرة : ١٥٤) .

أى لا تحسون ولا تدركون ما حالهم بالمشاعر لأنها من أحوال البرزخ التى لا يطلع عليها ولا طريق للعلم بها إلا بالوحى . وقال لكنهم اختلفوا فى المراد بالجسد فقيل هو هذا الجسد الذى هدمت بنيته بالقتل ولا يعجز الله تعالى أن يحل به حياة تكون سببا للحس والادراك وإن كنا نراه رمة مطروحة على الأرض لا يتصرف ولا يرى فيه شيء من علامات الاحياء فقد جاء فى الحديث أن المؤمن يفسح له مد بصره ويقال له نم نومة العروس . مع انا لا نشاهد ذلك إذ البرزخ برزخ آخر بمعزل عن اذهاننا وادراك قوانا . وقال وعندى أن الحياة فى البرزخ ثابتة لكل من يموت من شهيد وغيره وقال وأما القول بحياة هذا الجسد الرميم مع هدم بنيته وتفرق اجزائه وذهاب هيئته وإن لم يكن ذلك بعيداً عن قدرة من يبدأ الخلق ثم يعيده لكن ليس إليه كثير حاجة ولا فيه مزيد فضل ولا عظيم منة بل ليس فيه سوى ايقاع ضعفة المؤمنين بالشكوك والاوهام وتكليفهم من غير حاجة بالايمان بما يعدون قائله من سفهة الاحلام .

وما يحكى من مشاهدة بعض الشهداء الذين قتلوا منذ مائة سنين وإنهم إلى اليوم تشخب جروحهم دماً إذا رفعت العصابة عنها فذلك مما رواه هيان بن بيان وما هو إلا حديث خرافة وكلام يشهد على مصدقيه تقديم السخافة هذا . (روح المعانى ص ٢٠-٢١ ، ج ٢).

وقال العلامة الحقانى قبر سے مراد وہ عالم برزخی ہے اور اس گڑھے کو جہاں جسم پڑا ہوا ہے اسی تعلق خاص کے سبب قبر کہا جاتا ہے ورنہ نہ اس میں روح بند ہے نہ اس میں ثواب و عذاب ہو رہا ہے ۔ البیان فی علوم القرآن (ص ١٣٢) ومثله فی (ص ٥٤٩) ونحوه فی عقائد الاسلام للحقانی (ص ١٧٠) .

وقال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى ولكن لا تشعرون . هو تنبيه على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هى امر لا يدرك بالعقل بل بالوحى (ص ١١٧) البقره .

وفى نظم الفرائد حاشية شرح العقائد والمراد بالقبر ليس ما يحفر ويدفن فيه الميت بل المراد به عالم البرزخ مما بعد الموت إلى يوم النشور سواء كان الميت مدفوناً أو حريقا بقى رماده أو انبث فى الجو أو مأكولا فى بطن الحيوان أو غير ذلك (ص ١٦١) .

فقد اتضح لك بما ذكرنا من تصريحات الاجلة أن القبر فى مسألة الحياة فى القبر والتنعيم والتعذيب فيه وغير ذلك من الصلاة فى القبور والقراءة وغيرهما ليس بمعنى الحفرة التى هى مستقر جسد الميت بل المراد به انما هو عالم البرزخ والحياة فى القبر والسؤال والجواب والتنعيم والتعذيب وغيرها انما هى كلها أمور برزخية لا تعلق لها بهذا العالم .

وإذا انتقش هذا على صحيفة خاطرك . فنقول .

إن عالم البرزخ إنما هو العالم المتوسط بين الدنيا والآخرة وهو محتجب عن الدنيا وله تعلق بالآخرة ولا شك أن نسبة هذا العالم إلى

جميع الدنيا على السوية فان كان الميت يسمع كلام الاحياء كان معناه أن الميت الكائن فى عالم البرزخ يسمع كلام أهل الدنيا فيلزم أن لا يكون سماع الميت كلام الاحياء مختصاً بالقريب من القبر بل يلزم أن يسمع الميت كلام الاحياء وإن كان النداء بعيداً عن القبر بفراسخ وهو باطل اجماعاً .

لأن كل من يقول بسماع الموتى فانما يقول بالسماع إذا كان المتكلم قريبا من القبر بحيث لو كان فى جوف القبر واحد من الأحياء لكان يسمع هذا الكلام وليس احد من أهل العلم يقول بان الميت يسمع الكلام وإن كان المتكلم بعيدا من القبر بمراحل .

فلهذا كان الاصوب هو القول بعدم سماع الموتى الا على سبيل خرق العادة الالهية معجزة للنبي ﷺ أو كرامة للولى وهو المطلوب . فلله الحمد والمنة .

وأما النحو الرابع من التوسل الغير الشرعى وهو أن يدعو بهذا النحو من الدعاء غائبا أو ميتاً بعيدا عن القبر بحيث لو كان هناك حى لم يكن يسمع الكلام فهذا أيضاً ليس من التوسل المباح فى شىء بل هو اشراك بيّن بالله فى صفة العلم والسمع ما لم ينزل بـه سلطانا وكفر صريح اعاذنا الله من ذلك .

وأما النحو الخامس منه وهو أن يقصد قبر نبي أو ولى ممن يحسن به الاعتقاد ويأتى إليه ويسأل الله وحده هناك من غير أن يستغيث بالميت أو يطلب منه الشفاعة زاعماً أن الدعاء عند القبر أقرب إلى الاجابة منه فى غيره من الامكنة فهذا أيضاً ليس من التوسل

الجائز فی شیء بل هو بدعة سیئة یخاف أن تنجر بصاحبها إلی الکفر والشرك .

وبيان ذلك من وجوه الأول أنه لم يثبت إلى الآن ولم ينقل بنقل صحيح أن النبي ﷺ أو احداً من الصحابة أو التابعين أو ممن تبعهم من السلف الصالحين قصد قبر نبي أو غيره بالدعاء والسؤل من الله تعالى والاستغاثة إليه فى كشف كربته وحل مشكله فى الدين أو الدنيا .

ولا شك أن الدعاء والاستغاثة عبادة بل مخها كما عرفت فى ما سلف وأن مبنى العبادات على الاستنان والاتباع دون الابتداع والاختراع وكل ما احدث فى العبادات المقصودة بعد القرون المشهود لها بالخير فهو بدعة ضلالة .

قال الله تعالى : لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً (احزاب : ٢١) .

قال الشوكانى : هذه الآية وإن كان سببها خاصاً فهى عامة فى كل شيء ومثلها ما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا .

وقوله تعالى : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى (ص ٢٦٢ ، ج ٤) .

وقال ابن كثير هذه الآية اصل كبير فى التأسى برسول الله ﷺ فى اقواله وافعاله واحواله (ص ٤٧٤ ، ج ٣) .

وقال الآلوسى : والآية وإن سيقت للاقتداء به عليه الصلاة والسلام فى امر الحرب من الثبات ونحوه فهى عامة فى كل افعاله ﷺ

إذا لم يعلم انها من خصوصياته كنكاح ما فوق أربع نسوة . (تفسير روح المعانى ص ١٦٧ ، ج ٢١) .

وقال رسول الله ﷺ أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة . (مسلم ص ٢٨٥ ، ج ١ وابن ماجة ص ٦ وبخارى ص ١٠٨١ ، ج ٢ . وقال ﷺ إنما هما اثنتان الكلام والهدى

فاحسن الكلام كلام الله واحسن الهدى هدى محمد ﷺ واياكم ومحدثات الأمور فان شر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة (ابن ماجه ص ٦) .

وروى عن عرباض بن سارية قال صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم اقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كان هذه موعظة مودع فأوصنا يا رسول الله فقال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشيا فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة (مشكاة ص ٣٠ والترمذى ص ٩٢ ، ج ٢ وابن ماجه ص ٥ وأبو داؤد ص ٦٣٥) .

وعن معاذ بن جبل قال اياكم وما ابتدع فان ما ابتدع ضلالة . (أبو داؤد ص ٦٣٣) وسئل مالك عن الذكر الجهرى امام الجنازة .

فاجاب بان السنة فى اتباع الجنائز الصمت والتفكر والاعتبار وإن ذلك فعل السلف واتباعهم سنة ومخالفتهم بدعة وقد قال مالك لن

يأتى آخر هـذه الامـة بأهـدى ممـا كان عليه اولها (الاعتصام للشاطبي ص ٢٧٤ ، ج ١) .

وقال مالك من أحدث فى هذه الامة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الدين لأن الله تعالى يقول اليوم اكملت لـكم دينـكم . فما لم يـكن يومئذ ديناً لا يـكون اليوم ديناً . (الاعتصام ص ٥٣ ، ج ٢) .

وعن ابن مسعود رض أنه قال اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم . (الاعتصام ص ٧٩ ، ج ١) . وعن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ ايها الناس ليس من شىء يقربـكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا قـد امرتـكم به وليس شىء يقربـكم من النار ويباعـدكم من الجنة الا قـد نهيتكم عنه (مشكاة ص ٤٥٢) .

وإن شئت الاستقصاء فعليك بتأليفنا عقد اللآلى والدرر .

فلعلك استيقنت مما ذكرنا أن اتيان القبور بغرض الدعاء لنفسه بدعة محدثة .

والوجـه الثانى أن العلماء الـراسخين قـد ذكـروا آداب الـدعاء والأمور التى تقرب الدعـاء من الاجابـة ولم يذكر احـد منهم قصد القبور واتيانها لـدعاء نفسه وكشف كـربته فى تلك الآداب ولم يعده منها . فعلم أنه ليس من آداب الدعاء فى شىء .

وهى تحرى الحلال والتجنب عن الحرام مأكلا ومشربا وملبساً وملاحظة الاوقات الفاضلة والحالات الشريفة كيوم عرفة وشهر رمضان ويوم الجمعة والثلث الاخير من الليل ووقت السحر وأثناء السجود

ونزول الغيث وبين الاذان والاقامة والتقاء الجيوش وعند الوجل ورقة القلب واستقبال القبلة إن أمكن ورفع اليدين حذو المنكبين والبداية بحمد الله تعالى وتمجيده والثناء عليه والصلاة على النبي ﷺ وحضور القلب واظهار الفاقة والضراعة إلى الله تعالى وخفض الصوت بين المخافة والجهر والدعاء بغير اثم أو قطيعة رحم وعدم استبطاء الاجابة والجزم بالاجابة واختيار جوامع الكلم والتجنب عن الدعاء على نفسه وأهله وماله وتكرار الدعاء ثلاثا ومسح الوجه باليدين وأن يسأل الله باسمائه الحسنى ولا يخص نفسه إن كان اماما . (راجع إلى فقه السنة ص ٤٩٨ ، ج ١ وتحفة الذاكرين ص ٤١) .

وأيضاً قد ورد تحرى بعض الازمنة للدعاء وتخصيصها بالدعاء كليلة القدر ويوم عرفة وشهر رمضان وليلة الجمعة ويوم الجمعة وجوف الليل ونصفه الثانى وثلثه الأول وثلثه الاخير ووقت السحر وعند النداء ، بالصلاة وبين الاذان والاقامة وبعد الحيعلتين للمجيب المكروب وعند الاقامة وعند الصف فى سبيل الله وعند التحام الحرب ودبر الصلوات المكتوبات وفى السجود وعند تلاوة القرآن وعند شرب ماء زمزم وصياح الديكة وغير ذلك وقد ورد تحرى بعض الامكنة أيضاً بالدعاء وهى المساجد الثلاثة وفى الطواف وعند الملتزم وفى داخل بيت الله وعلى الصفا والمروة وفى عرفات وخلف المقام وفى المزدلفة ومنى وعند الجمرات الثلاث كل ذلك قد ورد فيه الاحاديث والآثار وإن كان فى بعضها ضعف . (راجع تحفة الذاكرين ص ٤٨-٥٤) .

وأما قصد القبور بالدعاء والسؤال لكشف كربته ودفع مصيبته فليس فيه نقل اصلا من رسول الله ﷺ وصحابته ومن تبعهم رضى الله عنهم .

والوجه الثالث أنه قد صرح أهل العلم بما ذكرنا من عدم جواز تخصيص القبور بالدعاء هناك .

قال ابن الهمام ويكره النوم عند القبر وقضاء الحاجة بل اولى وكل ما لم يعهد من السنة والمعهود منها ليس إلا زيارتها والدعاء عندها قائما كما كان يفعل النبي ﷺ فى الخروج إلى البقيع ويقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا إن شاء الله بكم لاحقون اسأل الله لى ولكم العافية . (فتح القدير قبيل باب الشهيد ص ١٠٢ ، ج ٢) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية فى اقتضاء الصراط المستقيم وأما الاعياد المكانية فتنقسم أيضاً كالزمانية إلى ثلاثة اقسام .

احدها ما لا خصوص له فى الشريعة .

والثانى ما له خصيصة لا تقتضى قصده للعبادة فيه .

والثالث ما يشرع العبادة فيه لكن لا يتخذ عيدا .

والاقسام الثلاثة جاءت الآثار بها مثل قوله ﷺ للذى نذر أن ينحر ببوانة . أفيها وثن من اوثان المشركين أو عيد من اعيادهم قال لا قال فأوف بنذرك «ومثل قوله ﷺ لا تتخذوا قبرى عيدا» .

ومثل نهى عمر عن اتخاذ آثار الانبياء اعيادا كما سنذكره إن شاء الله (ص ٣١٣) .

وقال فمن قصد بقعة يرجوا لخير بقصدها ولم تستحب الشريعة ذلك فهو من المنكرات وبعضه اشد من بعض سواء كانت البقعة شجرة أو غيرها أو قناة جارية أو جبلاً أو مفازة وسواء قصدها ليصلي أو ليدعو

عندها أو ليقرأ عندها أو ليذكر الله سبحانه عندها أو لينسك عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التى لم يشرع تخصيص تلك البقعة به لا عينا ولا نوعاً واقبح من ذلك ان ينذر لتلك البقعة دهنا لتنور به ويقول انها تقبل النذر كما يقوله بعض الضالين (ص ٣١٤) .

وقال وأما اجابة الدعاء فقد يكون سببه اضطرار الداعى وصدق التجائه وقد يكون سببه مجرد رحمة الله له وقد يكون امرا قضاه الله لا لأجل دعائه وقد يكون له اسباب أخرى وإن كانت فتنة فى حق الداعى فانا نعلم أن الكفار قد يستجاب لهم فيسقون وينصرون ويعافون ويرزقون مع دعائهم عند اوثانهم وتوسلهم بها قال الله تعالى كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً (١٧ - ٢٠) .

وقال تعالى " ٧٢-٦ وإنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا . واسباب المقدورات فيها أمور يطول تعدادها وانما على الخلق اتباع ما بعث الله به المرسلين والعلم بأن فيه خير الدنيا والآخرة (ص ٣٢٠) .

وقال ثم أفضل التابعين من أهل بيته على بن الحسين رضى الله عنه نهى ذلك الرجل أن يتحرى الدعاء عند قبره ﷺ واستدل بالحديث وهو راوى الحديث الذى سمعه من ابيه الحسين رض عن جده على رضى الله عنه وهو أعلم بمعناه من غيره .

فتبين أن قصد قبره للدعاء ونحوه اتخاذ له عيدا (ص ٣٢٤) .

وقال فأما قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الانبياء أو بعض

الصالحين متبركا بالصلاة فى تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ورسوله والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن الله به (ص ٣٣٤) .

وقال فمما يدخل فى هذا قصد القبور للدعاء عندها . اولها فان الدعاء عند القبور وغيرها من الاماكن ينقسم إلى نوعين احدها أن يحصل الدعاء فى البقعة بحكم الاتفاق لا لقصد الدعاء فيها كمن يدعو الله فى طريقه ويتفق أن يمر بالقبور أو من يزورها فيسلم عليها ويسأل الله العافية له وللموتى كما جاءت به السنة فهذا ونحوه لا بأس به الثانى أن يتحرى الدعاء عندها بحيث يستشعر أن الدعاء هناك اجوب منه فى غيره فهذا النوع منهى عنه اما نهى تحريم أو تنزيه وهو إلى التحريم أقرب . والفرق بين البابين ظاهر فان الرجل لو كان يدعو الله واجتاز فى ممره بصنم أو صليب أو كنيسة أو كان يدعو فى بقعة وكان هناك بقعة فيها صليب وهو عنه ذاهل أو دخل إلى كنيسة ليبيت فيها مبيتا جائزا أو دعا الله فى الليل أو بات فى بيت بعض اصدقائه ودعا الله لم يكن بهذا بأس ولو تحرى الدعاء عند صنم أو صليب أو كنيسة يرجو الاجابة بالدعاء فى تلك البقعة لكان هذا من العظائم بل لو قصد بيتا أو حانوتا فى السوق أو بعض عواميد الطرقات يدعو عندها يرجو الاجابة بالدعاء عندها لكان هذا من المنكرات المحرمة إذ ليس للدعاء عندها فضل فقصد القبور للدعاء عندها من هذا الباب بل هو اشد من بعضه لأن النبى ﷺ نهى عن اتخاذها عيدا وعن الصلاة عندها بخلاف كثير من هذه المواضع .

وما يرويه بعض الناس من أنه قال إذا تحيرتم فى الأمور فاستعينوا بأهل القبور أو نحو هذا فهو كلام موضوع مكذوب باتفاق العلماء (ص ٣٣٦) .

وقال ان قصد القبور للدعاء عندها ورجاء الاجابة بالدعاء هناك رجاء أكثر من رجائها بالدعاء فى غير ذلك الموطن امر لم يشرعه الله ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا ائمة المسلمين ولا ذكره أحد من العلماء والصالحين المتقدمين (ص ٣٣٨) . وقال فقد كان من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالامصار عدد كثير وعندهم التابعون ومن بعدهم من الائمة وما استغاثوا عند قبر صحابى قط ولا استسقوا عنده ولا به ولا استنصروا عنده ولا به .

ومن المعلوم أن هذا مما تتوفر الهمم على نقله بل على نقل ما هو دونه ومن تأمل كتب الآثار وعرف حال السلف تيقن قطعا أن القوم ما كانوا يستغيثون عند القبور ولا يتحرون الدعاء عندها اصلا بل كانوا ينهون عن ذلك من يفعله من جهالهم إلى آخر ما قال (ص ٣٣٩) .

وقال وما احفظ لا عن صحابى ولا عن تابعى ولا عن امام معروف أنه استحب قصد شىء من القبور للدعاء عنده ولا روى أحد فى ذلك شيئاً لا عن النبى ﷺ ولا عن احد من الائمة المعروفين وقد صنف الناس فى الدعاء واوقاته وامكنته وذكروا فيه الآثار فما ذكر احد منهم فى فضل الدعاء عند شىء من القبور حرفا واحدا فيما أعلم فكيف يجوز والحالة هذه أن يكون الدعاء عندها أجوب وأفضل والسلف تنكره ولا تعرفه وتنهى عنه ولا تأمرنا به (ص ٣٦٨) .

وقال وما علمت احدا من علماء المسلمين يقول أن الذكر هناك أو الصيام والقراءة أفضل منه فى غير تلك البقعة (ص ٣٧٨) .

وقال فأما ذكر الله هناك فلا يكره لكن قصد البقعة للذكر هناك بدعة مكروهة (ص ٣٨١) .

وقال فى القاعدة الجليلة ولا خلاف بين المسلمين أنه لا يشرع أن يقصد الصلاة إلى القبر بل هذا من البدع المحدثة وكذلك قصد شيء من القبور لا سيما قبور الانبياء والصالحين عند الدعاء (ص ١٤٦) .

وقال الحافظ ابن القيم قال شيخنا قدس الله روحه . وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب ابعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس قال وهؤلاء من جنس عباد الاصنام ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان فى صورة الميت أو الغائب كما يتمثل لعباد الاصنام وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب يدعو احدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان احيانا وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة وكذلك السجود للقبر والتمسح به وتقبيله . المرتبة الثانية أن يسأل الله عز وجل به وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة باتفاق المسلمين .

الثالثة أن يسأل نفسه الرابعة أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب أو انه أفضل من الدعاء فى المسجد فيقصد زيارته والصلاة عنده لأجل طلب حوائجه فهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين .

وهى محرمة وما علمت فى ذلك نزاعا بين ائمة الدين وإن كان كثير من المتأخرين يفعل ذلك ويقول بعضهم قبر فلان ترياق مجرب .

والحكاية المنقولة عن الشافعى أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبى حنيفة من الكذب الظاهر . (اغاثة اللهفان ص ٢٣٥ ، ج ١) .

وقال والمقصود أن الشيطان بلطف كيده يحسن الدعاء عند القبر وأنه ارجح منه فى بيته ومسجده واوقات الاسحار فاذا تقرر ذلك عنده نقله درجة أخرى من الدعاء عنده إلى الدعاء به والاقسام على الله به وهذا اعظم من الذى قبله فان شان الله اعظم من أن يقسم عليه أو يسأل باحد من خلقه . (اغاثة اللهفان ص ٢٣٤ ، ج ١) .

وفى الصارم المنكى فأما أن يقصد بالزيارة سؤال الميت والاقسام به على الله أو استجابة الدعاء عند تلك البقعة فهذا لم يكن من فعل أحد من سلف الامة لا الصحابة ولا التابعين لهم باحسان وانما حدث ذلك بعد ذلك (ص ٢٢٥) .

أقول فقد انضح من تصريحات هؤلاء الاعلام أن قصد القبور بالدعاء والاستغاثة أو عبادة أخرى من السجود لله تعالى أو الصلاة أو الصوم أو تلاوة القرآن أو غيرها من العبادات بدعة محرمة يخاف أن تنجر بصاحبها إلى الاشراك بالله تعالى عياذا بالله من ذلك فلا يصح عده من التوسل المباح فى شيء وهو المطلوب .

وأما النحو السادس من التوسل وهو الدعاء بحق أحد من المخلوق فهو أيضاً ليس من التوسل المشروع .

وبيانه من وجوه الوجه الأول مامر من أن الدعاء عبادة بل من أفضلها ومبنى العبادات على النقل والاستنان دون العقل والابتداع والدعاء والمسألة من الله تعالى بحق أحد من الخلق ليس فيه نقل صحيح من النبى ﷺ ولا من الصحابة والتابعين وما يذكر فى هذا الباب من الاحاديث والآثار فكله ضعيف أو موضوع لا يجوز اسناد حكم شرعى

إليه كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى فكان الدعاء بهذا النحو أيضاً غير مشروع بل بدعة .

والوجه الثانى أن الدعاء والمسألة من الله تعالى بحق أحد من المخلوق مبنى على أن للمخلوق حقا على الله تعالى وهو باطل لأن مذهب أهل السنة والجماعة أنه لا حق للمخلوق على الخالق ولا وجوب عليه .

ثم إن هذه المسألة قد اختلف فيها . فذهب أهل السنة والجماعة إلى أنه لا يجب على الله تعالى شىء من جهة العباد وانما الايجاب من الله تعالى لا غير . وذهبت المعتزلة إلى القول بالوجوب على الله تعالى .

قال أبو شكور السالمى القول التاسع عشر فى أنه لا يجب على الله تعالى شىء من جهة العباد قال أهل السنة والجماعة أن الايجاب من الله تعالى لا غير وقالت المعتزلة أن الايجاب من طريق الحكمة والعقل كالايجاب من الله تعالى وهذا كفر .

وقال ثم عند المعتزلة حقوق العباد ومصالحهم واجبة على الله تعالى ويجب عليه ما هو الاصلح لهم من طريق الحكمة — إلى آخر ما قال — التمهيد فى بيان التوحيد (ص ١٣٨) .

قال القارىء ولا يجب على الله شىء خلافا للمعتزلة . (مرقاة ص ٩٨ ، ج ١) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية لا ريب أن الله تعالى جعل على نفسه حقا لعباده المؤمنين كما قال تعالى : وكان حقا علينا نصر المؤمنين ٣٠-٤٧ . وكما قال : كتب ربكم على نفسه الرحمة ٦ - ٥٤ . وفى الصحيحين أنه ﷺ قال لمعاذ بن جبل وهو رديفه يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه

ولا يشركوا بـه شيئاً . اتـدرى مـا حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال حقهم عليه أن لا يعذبهم . فهذا حق وجب بـكلماته التامة ووعده الصادق . وقد اتفق العلماء على وجوب ما يجب بوعد الله الصادق وتنازعوا هل يوجب الله بنفسه على نفسه ويحرم بنفسه على قولين ومن جوز ذلك احتج بقوله سبحانه كتب ربكم على نفسه الرحمة وبقوله فى الحديث القدسى الصحيح إنى حرمت الظلم على نفسى الخ .

والكلام على هذا مبسوط فى موضع آخر . وأما الإيجاب عليه سبحانه وتعالى والتحريم بالقياس على خلقه فهذا قول القدرية وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول وأهل السنة متفقون على أنه سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه وأنه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وإن العباد لا يوجبون عليه شيئاً ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب قال انه كتب على نفسه الرحمة وحرم الظلم على نفسه لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق فان الله هو المنعم على العباد بكل خير فهو الخالق لهم وهو المرسل اليهم وهو الميسر لهم الايمان والعمل الصالح ومن توهم من القدرية والمعتزلة ونحوهم انهم يستحقون عليه من جنس ما يستحقه الاجير على المستأجر فهو جاهل فى ذلك . (اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٠٩) .

وفى القاعدة الجليلة وأما السؤال بحق فلان فهو مبنى على اصلين احدهما ما له من الحق عند الله تعالى والثانى هل نسأل الله بذلك كما نسأل بالجاه والحرمة .

أما الأول فمن الناس من يقول للمخلوق على الخالق حق يعلم بالعقل وقاس المخلوق على الخالق كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة وغيرهم ومن الناس من يقول لاحق للمخلوق على الخالق بحال لكن يعلم ما يفعله بحكم وعده وخبره كما يقول ذلك من يقوله من أتباع جهم والاشعرى وغيرهما من ينتسب إلى السنة ومنهم من يقول بل كتب الله على نفسه الرحمة واوجب على نفسه حقا لعباده المؤمنين كما حرم الظلم على نفسه لم يوجب ذلك مخلوق عليه ولا يقاس بمخلوقاته بل هو بحكم رحمته وحكمته وعدله كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم إلى آخر ما قال (ص٥١) .

وفى انجاح الحاجة حاشية ابن ماجة اعلم أنه لاحق لاحد فى الحقيقة على الله تعالى ولا يجب عليه شيء عند أهل السنة وانما هو رأى المعتزلة إلا أن له معنيين احدهما اللزوم والثانى الالتزام فالأول كما قلنا والثانى تفضل منه واحسان حيث التزم لنا باعمالنا ما لسنا أهلاً لذلك فهو الجواد المنعم يفضل على عباده بما يشاء فهذا المعنى ورد فى الاحاديث فافهم (ص ٥٧) .

وبالجملة أن القول بالوجوب على الله ليس مذهبا لأهل السنة بل هو مذهب أهل البدعة فالسؤال والدعاء من الله تعالى بحق المخلوق لما كان مبنيا على هذا الاصل الباطل كان باطلا يجب أن يحترز عنه وهو المطلوب .

فان قلت الحق حقان حق الزامى وحق تفضلى والله تعالى وإن كان منزها عن أن يكون للعباد عليه حق الزامى لكنه تعالى قد جعل لعباده عليه حقا تفضليا كما ينطق به القرآن قال تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين (روم : ٤٧) . وقال تعالى بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر

الناس لا يعلمون . (نحل : ٣٨) . وقال تعالى وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن (توبه : ١١١) . وقال تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة (انعام : ٥٤) .

وقال تعالى كذلك حقا علينا ننج المؤمنين . (يونس : ١٠٣) . وقال تعالى : وما من دابة الا على الله رزقها (هود : ٦) وقال تعالى أن علينا جمعه وقرآنه (قيامة : ١٧) .

وقال تعالى : إن علينا للهدى (الليل : ١٢) فكل هذه الآيات وامثالها تدل على الوجوب والالزام على الله تعالى ضرورة أن كلمة على تدل على ذلك . قلت نعم لكن الحق التفضلى للعباد على الله تعالى هو الذى بين فى الحديث والقرآن ومحصله أنه تعالى من كمال فضله ورحمته وعدله الزم لعباده على نفسه انه يجزيهم احسن ما عملوا ويثيبهم بعبادتهم ويدخلهم الجنة وينصرهم على اعدائهم فى الدنيا ويهديهم سبله ويزيدهم هدى ويجيبهم إذا دعوه وغير ذلك مما يفعل بالمؤمنين فى الدنيا والآخرة .

فهذا النحو من حق العبيد على الله انما هو ثمرة عبادة كل عبد ونتيجتها وجزائها وكل ما يعطيه الله العبد فى الدنيا والآخرة جزاء بعبادته ودعائه وجهاده وغير ذلك فاذا دعا احد أو سأل الله بحق احد من المخلوق كان معناه أنه يسأل الله تعالى أن يعطيه حق ذلك العبد مما يعطيه بدعائه واستغاثته وسائر عباداته . وفيه من السفاهة والسخافة والجهالة ما لا يخفى على من له ادنى نهية .

روى عن معاذ بن جبل قال كنت ردف النبى ﷺ على حمار يقال له عفير فقال يا معاذ هل تدرى ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله أعلم قال فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من

لا يشرك به شيئاً فقلت يا رسول الله افلا ابشر به الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا . (أخرجه البخارى فى صحيحه (ص ٤٠٠ ، ج ١ وص ٩٦٢، ج ٢ وص ١٠٩٧ ، ج ٢ وص ٨٨٢ ، ج ٢ ومسلم ص ٤٤ ، ج ١) وابن ماجة ٣٢٧ مشكاة ص ١٤ وأخرجه أبو داؤد والنسائى قاله العينى ص ١٤٨ ، ج ١٤) .

فهذا الحديث صريح فى أن للعباد حقا على الله تفضلا منه لكن ذلك الحق انما هو جزاء عبوديته فحق كل عبد انما هو الذى يترتب على عمله واحسانه وعبادته والحكمة تأبى أن يعطى حق أحد لآخر وثمرة عمل عامل لآخر غير عامل عمله والقرآن أيضاً مملوء من ذلك قال تعالى : إن احسنتم احسنتم لانفسكم (اسراء : ٧) .

وقال تعالى من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى . (اسراء ١٥) . وقال تعالى الا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للانسان إلا ماسعى . (نجم : ٣٨-٣٩) .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية وإذا كان كذلك لم تكن الوسيلة إليه إلا بما من به من فضله واحسانه والحق الذى لعباده هو من فضله واحسانه ليس من باب المعاوضة ولا من باب ما اوجبه غيره فانه سبحانه يتعالى عن ذلك وإذا سئل بما جعله سبباً للمطلوب من التقوى والاعمال الصالحة التى وعد اصحابها بكرامته وانه يجعل لهم مخرجا ويرزقهم من حيث لا يحتسبون فيستجيب دعائهم ومن ادعية عباده الصالحين ومن شفاعة ذوى الوجاهة عنده فهذا سؤال وتسبب بما جعله هو سببا وأما إذا سئل بشىء ليس هو سببا للمطلوب فاما أن يكون اقساما به عليه فلا يقسم على الله بمخلوق وأما أن يكون سؤالا بما لا يقتضى المطلوب فيكون عديم الفائدة .

فالانبياء والمؤمنون لهم حق على الله بوعده الصادق لهم وبكلماته التامة ورحمته لهم أن ينصرهم ولا يخذلهم وأن ينعمهم ولا يعذبهم وهم وجهاء عنده يقبل من شفاعتهم ودعائهم ما لا يقبل من دعاء غيرهم فاذا قال الداعى اسألك بحق فلان وفلان لم يدع ربه وهو لم يسأله باتباعه لذلك الشخص ومحبته وطاعته بل بنفس ذاته وما جعله له ربه من الكرامة فهو لم يسأله بسبب يوجب المطلوب . (اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤١٠) .

وقال فى القاعدة الجليلة : وأما المقام الثانى فانه يقال ما بين الله ورسوله انه حق للعباد على الله فهو حق لكن الكلام فى السؤال بذلك فيقال إن كان الحق الذى سأل به سببا لاجابة السؤال حسن السؤال به كالحق الذى يجب لعابديه وسائليه .

وأما إذا قال السائل بحق فلان وفلان فأولئك إذا كان لهم عند الله حق أن لا يعذبهم وأن يكرمهم بثوابه ويرفع درجاتهم كما وعدهم بذلك وأوجبه على نفسه فليس فى استحقاق أولئك ما استحقوه من كرامة الله ما يكون سبباً لمطلوب هذا السائل فان ذلك استحق ما استحقه بما يسره الله له من الإيمان والطاعة وهذا لا يستحق ما استحقه ذلك فليس فى اكرام الله لذلك سبب يقتضى اجابة هذا وإن قال السبب هو شفاعته ودعائه فهذا حق إذا كان قد شفع له ودعا له وإن لم يشفع له ولم يدع لم يكن هناك سبب وإن قال السبب هو محبتى له وايمانى به وموالاتى له فهذا سبب شرعى وهو سوال الله وتوسل إليه بايمان هذا السائل ومحبته لله ورسوله وطاعته لله ورسوله . (ص ٥٦) .

والوجه الثالث أن الفقهاء والمحدثين قد صرحوا بأن الدعاء والمسألة من الله تعالى بحق احد من خلقه مكروه وغير جائز .

قال فى الهداية ويكره أن يقول فى دعائه بحق فلان أو بحق انبيائك ورسلك لانه لاحق للمخلوق على الخالق . هدايه اخيرين (ص ٥٣٢ ، ج ٤) .

وفى الجامع الصغير يكره أن يقول الرجل فى دعائه بحق نبيك ولكن يقول بدعوة نبيك وفى بعض النسخ لا ينبغى أن يقول بحق نبيك ولم يذكر لفظ الكراهة خلاصة الفتاوى (ص ٥٣٢ ، ج ٢) .
وفى مجمع الانهر ويكره قوله اسألك بحق انبيائك وأوليائك ورسلك أو بحق البيت أو بحق المشعر الحرام إذ لا حق لاحد على الله تعالى وانما يختص برحمته من يشاء من غير وجوب عليه . (مجمع الانهر ص ٥٥٤ ، ج ٢ وكـذا فى الطريقة المحمدية وشرح الفقه الاكبر للقارئ ص وكنز الدقائق ص ٢٢٧ ، ج ٢) .

وفى الدر المختار وكره قوله بحق رسلك وانبيائك وأوليائك أو بحق البيت لانه لاحق للخلق على الخالق تعالى . (هامش رد المحتار ص ٢٨١ ، ج ٥) .

قال الحافظ ابن القيم وقال ابن بلاجى فى شرح المختار ويكره أن يدعو الله إلا به فلا يقول اسألك بفلان أو بملائكتك أو بانبيائك ونحو ذلك لأنه لاحق للمخلوق على خالقه (الاغاثة ص ٢٣٥ ، ج ١) .

وقال أبو الحسين القدورى فى كتابه الكبير فى الفقه المسمى بشرح الكرخى فى باب الكراهة وقد ذكر هذا غير واحد من أصحاب

أبي حنيفة قال بشر بن الوليد حدثنا ابو يوسف قال قال أبو حنيفة لا ينبغي لاحد أن يدعو الله إلا به واكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك أو بحق خلقك وهو قول أبي يوسف قال أبو يوسف بمعقد العز من عرشك هو الله فلا اكره هذا واكره أن يقول بحق فلان أو بحق انبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام قال القدورى المسألة بخلقه لا تجوز لأنه لاحق للخلق على الخالق فلا تجوز وفاقا . (القاعدة الجليلة ص ٤٥) .

وقال ابن عابدين الشامى بعد ما نقل توجيهات لصحة الدعاء بحق رسلك وانبيائك أقول لكن هذه كلها احتمالات مخالفة للظاهر المتبادر من هذا اللفظ ومجرد ايهام اللفظ ما لا يجوز كاف فى المنع كما قدمناه فلا يعارض خبر الآحاد فلذا والله أعلم اطاق ائمتنا المنع على أن ارادة هذه المعانى مع هذا الايهام فيها الاقسام بغير الله تعالى وهو مانع آخر تأمل . (رد المختار ص ٢٨١ ، ج ٥) .

فان قلت قد ورد الدعاء والمسألة بحق بعض المخلوق فى الاحاديث المروية عن النبي ﷺ فكيف يصح القول بكونه مكروها أو بدعة بل يكون مسنونا ومستحبا .

أخرج ابن ماجة عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ من خرج من بيته إلى الصلاة فقال اللهم انى اسألك بحق السائلين عليك واسألك بحق ممشاى هذا فانى لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسألك أن تعيذنى من النار وأن تغفرلى ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت اقبل الله عليه بوجهه واستغفرله سبعون ألف ملك . (باب المشي إلى الصلاة ص ٥٧)

وأخرج الحاكم بسنده عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب اسألك بحق محمد لما غفرت لى فقال الله يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم اخلقه قال يا رب لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف إلى اسمك إلا احب الخلق إليك فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلى ادعنى بحقه فقد غفرت لك ولو لا محمد ما خلقتك قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد . (الدرر السنية فى الرد على الوهابية ص ٩) .

وروى عن ابن عباس قال سئل النبى ﷺ عن الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتاب عليه قال سأله بحق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين أن يتوب عليه فتاب عليه .

أقول أما الجواب عن الحديث الاول فمن وجهين الاول أن هذا الحديث ضعيف واه ليس قابلا لأن يستند إليه حكم شرعى لأن اثبات الاحكام الشرعية انما يكون بالاحاديث الصحيحة الثابتة دون مطلق ما يدعى فيه أنه حديث قال شيخ الاسلام ابن تيمية هذا الحديث رواه عطية العوفى وفيه ضعف . (اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤١٨) .

وقد اشبع الكلام على تضعيف هذا الحديث وغيره مما يروى فى ثبوت الدعاء بحق أحد من المخلوق العلامة محمد بشير السهسوانى فى صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان من ص ٩٦ إلى ص ١٢٥ راجع إليه .

والوجه الثانى من وجهى الجواب على تقدير صحة الحديث وكونه صالحا لأن يستند إليه حكم شرعي أنه قد عرفت أن لاحق

للمخلوق على الخالق حقا الزاميا لكن الله قد جعل لعباده عليه حقا تفضليا والتزاميا فالمراد من حق السائلين هو الحق الذى التزمه الله تعالى لهم واوجبه لهم على نفسه وهو اجابة دعائهم واثابة اطاعتهم وعبادتهم فمعنى قول الداعى اللهم انى اسألك بحق السائلين انى اسألك بما وعدت السائلين من اجابة دعائهم واثابتهم بالدعاء والاستغاثة فهذا فى الحقيقة توسل بوعد الله تعالى واطماعه السابق أو توسل بالعمل الصالح فان السؤال والطاعة سبب لحصول المطلوب والاجابة منه تعالى أو توسل بالصفات الفعلية لله تعالى فان الاجابة والاثابة من افعال الله تعالى فهذا النحو من التوسل والدعاء جائز وأما الدعاء بحق احد من المخلوق بان يقال بحق فلان مشيرا إلى نبي أو ولى أو غيرهما فليس يصح ارجاعه إلى هذا القسم الجائز لأنه تعالى لم يلتزم لأحد من خلقه من حيث ذاته حقا على نفسه فلا يصح قياس الدعاء بحق شخص معين على الدعاء بحق السائلين كما لا يخفى على من له ادنى نهية فدونك تصريحات بعض الاعاظم بما قلنا .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية فان حق السائلين عليه سبحانه أنه يجيبهم وحق المطيعين له أن يثيبهم فالسؤال له والطاعة سبب لحصول اجابته واثابته فهو من التوسل به والتوجه به ولو قدرنا أنه قسم لكان قسما بما هو من صفاته فان اجابته واثابته من افعاله واقواله فصار هذا كقوله ﷺ فى الحديث الصحيح اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك والاستعاذة لا تصح بمخلوق كما نص الامام أحمد وغيره من الائمة . ثم ساق الكلام إلى أن قال والمقصود هنا أن استعاذة النبي ﷺ

بعفوه ومعافاته من عقوبته مع أنه لايستعاذ بمخلوق فهى كسؤال الله باجابته واثابته وإن كان لا يسئل بمخلوق: (اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤١٨ وص ٤٢٠) .

وقال فى القاعدة الجليلة فان كان هذا أى الحديث المروى بحق السائلين عليك صحيحاً فحق السائلين عليه أن يجيبهم وحق العابدين له أن يثيبهم وهو حق اوجبه على نفسه لهم كما يسئل بالايمان والعمل الصالح الذى جعله سبباً لاجابة الدعاء كما فى قوله تعالى :

ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله . وكما يسئل بوعده لأن وعده يقتضى انجاز ماوعده ومنه قول المؤمنين ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا، ربنا فاغفرلنا ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا وتوفنا مع الابرار .

وقوله إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفرلنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . الآية ويشبه هذا مناشدة النبى ﷺ يوم بدر حيث يقول اللهم انجزلى ما وعدتنى وكذلك ما فى التوراة أن الله غضب على بنى اسرائيل فجعل موسى يسأل ربه ويذكر ما وعد به ابراهيم فانه سأله بسابق وعده لابراهيم (ص ٤٩) .

وقال أيضاً ومن قال بل للمخلوق على الله تعالى حق فهو صحيح إذا اراد به الحق الذى اخبر الله بوقوعه فان الله تعالى صادق لا يخلف الميعاد وهو الذى اوجبه على نفسه بحكمته وفضله ورحمته وهذا المستحق لهذا الحق إذا سأل الله تعالى به يسأل الله انجاز وعده أو يسأله بالاسباب التى علق الله بها المشيئات كالاعمال الصالحة فهذا مناسب وأما غير المستحق لهذا الحق إذا سأله بحق ذلك الشخص فهو كما

سأله بجاه ذلك الشخص وذلك سؤال بامر اجنبي عن هذا السائل لم يسأله بسبب يناسب اجابة دعائه . (القاعدة الجليلة ص ٥٥) .

وقال العلامة الآلوسي وأما ما رواه ابن ماجه عن ابى سعيد الخدرى عن النبي ﷺ فى دعاء الخارج إلى الصلاة اللهم انى اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا فانى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ولكن خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أن تنقذنى من النار وأن تدخلنى الجنة ففى سنده العوفى وفيه ضعف .

وعلى تقدير أن يكون من كلام النبي ﷺ يقال فيه أن حق السائلين عليه تعالى أن يجيبهم وحق الماشين فى طاعته أن يثيبهم والحق بمعنى الوعد الثابت المتحقق الوقوع فضلا لا وجوبا كما فى قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وفى الصحيح من حديث معاذ . حق الله تعالى على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحقهم عليه أن فعلوا ذلك أن لا يعذبهم فالسؤال حينئذ بالاثابة والاجابة وهما من صفات الله تعالى الفعلية والسؤال بهما مما لا نزاع فيه فيكون هذا السؤال كالاستعاذة فى قولة ﷺ أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك . فمتى صحت الاستعاذة بمعافاته صح السؤال باثابته واجابته . وعلى نحو ذلك يخرج سوال الثلاثة لله عز وجل بأعمالهم على أن التوسل بالاعمال معناه التسبب بها لحصول المقصود ولا شك أن الاعمال الصالحة سبب لثواب الله تعالى لنا ولا كذلك ذوات الاشخاص انفسها . (تفسير روح المعانى ص ١٢٧ ، ج ٦) .

وأما الجواب عن الحديث الثانى وهو حديث عمر فهو أن هذا حديث موضوع فلا يجوز أن يستدل به فى شيء من أمور الدين .

قال الذهبي بعد ذكر هذا الحديث وتصحيح الحاكم اياه قلت بل موضوع وعبدالرحمن واه . (التلخيص للذهبي ذيل المستدرك للحاكم ص ٦١٥ ، ج ٢) .

وقد بسط الكلام على تضعيف هذا الحديث وكونه موضوعا وأنه لا اعتماد على تصحيح الحاكم شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتاب الوسيلة راجع (ص ٧٩-٨٢) . وانظر ايضا فى كتاب التوسل انواعه واحكامه للالباني

وأما الجواب عن الثالث وهو المروى عن ابن عباس رض فهو أن هذا الحديث أيضاً موضوع ليس قابلا لاستناد الاحكام الشرعية .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية والجواب من وجوه . احدها المطالبة بصحة هذا النقل فقد عرف أن مجرد رواية ابن المغازى لا يسوغ الاحتجاج بها باتفاق أهل العلم .

الثانى أن هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم وذكره أبو الفرج ابن الجوزى فى الموضوعات من طريق الدارقطنى فان له كتبا فى الافراد والغرائب .

قال الدارقطنى تفرد به عمرو بن ثابت عن ابيه عن أبى المقدام لم يروه عنه غير حسن الاشقر قال يحي بن معين عمرو بن ثابت ليس ثقة ولا مأمونا وقال ابن حبان يروى الموضوعات عن الاثبات . (منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية ص ٣٦ ، ج ٤) .

وهكذا فى صيانة الانسان ص ١٢٤ وأيضاً هذا الحديث مخالف لظاهر القرآن فان هذه الكلمات قد جاءت مفسرة فى القرآن فى موضع آخركما فى (سورة الاعراف : ٢٢) قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

قال العلامة الآلوسى والمروى فى المشهور عن ابن عباس رض أن هذه الكلمات هى ربنا ظلمنا أنفسنا . الآية قال الزمخشرى فان قلت ما هن . قلت قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقال الامام البغوى واختلفوا فى تلك الكلمات قال سعيد بن جبير ومجاهد والحسن هى قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية .

بقى الكلام فى النحو السابع من انحاء التوسل وهو أن يقول فى دعائه ببركة فلان أو بحرمته أو بخاطره أو غير ذلك مما ذكرنا سابقاً وهو الموسوم بالتوسل بالذوات وبالتوسل باسماء الصالحين من العباد .

فاعلم أن هذا النحو من التوسل قد اختلف فيه أهل العلم من قديم الزمان إلى يومنا هذا فذهب بعض أهل العلم إلى القول بجوازه ومشروعيته بل عد بعض أهل العلم هذا القسم من التوسل من آداب الدعاء كما فى الحصن الحصين واختار هذا القول عامة المستحدثين من العلماء .

وذهب البعض الآخر من اجلة الاسلام إلى القول بعدم مشروعيته بل بكونه بدعة مخالفة للسنة المتوارثة .

وانى مع انى لا أرى التشدد والغلو فى هذه المسألة امرا حسنا اذهب إلى ما ذهب إليه البعض الثانى واختار ما اختاره هؤلاء الاجلة وهو الحق عندى وذلك من وجهين .

الاول انك قد عرفت أن الدعاء عبادة بل مخ العبادة وأفضلها واكرم شىء على الله تعالى وأن مناط العبادات إنما هو بالاتباع والتأسى برسول الله ﷺ والاقتداء بنجوم الهداية من الخلفاء الراشدين وسائر

الصحابة المهديين ولم يثبت ولم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن خلفائه الراشدين ولا سائر الصحابة رضى الله عنهم أجمعين الدعاء بحرمة احد أو جاهه أو طفيله أو غير ذلك مما ذكرنا وما يذكر فى هذا الباب من الاحاديث والآثار فبعضه ضعيف أو موضوع لا يصح التمسك به وبعضه ثابت لكن لا يتم دلالته على محل النزاع كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى .

والوجه الثانى أن هذا القسم من الدعاء فيه اقسام على الله بمخلوقه وهو غير جائز فانه قد ورد النهى فى الاحاديث الصحيحة أن يقسم احد على مخلوق بمخلوق أو يقسم احد لنفسه باحد من المخلوق .

قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت . متفق عليه وقال ﷺ لا تحلفوا بالطواغى ولا بآبائكم . (رواه مسلم)

وقال ﷺ من حلف بغير الله فقد اشرك . (رواه الترمذى ، مشكاة ص ٢٩٦) . وإذا لم يجز الاقسام على المخلوق بالمخلوق فلان لا يجوز الاقسام على الله باحد من خلقه اولى واحرى .

فان قلت قد وقع فى القرآن اقسام الله بكثير من مخلوقه نحو والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والشمس وضحاها ــ والنازعات غرقاً ــ والصافات صفا . والتين والزيتون . وغير ذلك فكيف يصح القول بعدم الجواز ؟ قلت فرق بين اقسام الله بنفسه بمخلوقه وبين أن يقسم أحد على الله بمخلوقه فالأول جائز وواقع والثانى غيره وذلك لأن اقسامه تعالى بمخلوقه فى الحقيقة من قبيل الاستشهاد والاستدلال فان اقسام القرآن كما حققه المحققون من قبيل الشواهد والآيات الدالة على الدعوى .

وأما أن يقسم احد على الله بمخلوقه فهو نوع اجبار على الله تعالى وتخصيص له على فعل ما يسأله العبيد وهو تعالى منزه عنه ولذلك قد ترى وقع فى القرآن اقسامه تعالى بالتين والزيتون ولا ترى احدا من القائلين بهذا النحو من التوسل قائلا بجواز أن يدعو أحد بجاه التين والزيتون أو حرمتهما أو وسيلتهما أو خاطرهما وغير ذلك .

بل انما يقسمون على الله بعباده الصالحين من الانبياء والاولياء وها انا اذكر لك نبذة من أقوال العلماء الدالة على ما ذكرنا لتكون على بصيرة منه . قال فى الدر المختار وفى التاتر خانية معزيا للمنتقى عن أبى يوسف عن أبى حنيفة لا ينبغى لأحد أن يدعو الله إلا به والدعاء المأذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها .

قال الشامى قوله إلا به أى بذاته وصفاته واسمائه (ص ٢٨٠ ، ج ٥) .

وقال الحافظ ابن تيمية فلفظ التوسل يراد به ثلاثة معان احدها التوسل بطاعته فهذا فرض لا يتم الايمان إلا به .

والثانى التوسل بدعائه وشفاعته وهذا كان فى حياته ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته .

والثالث التوسل به بمعنى الاقسام على الله بذاته ﷺ والسؤال بذاته ﷺ فهذا هو الذى لم تكن الصحابة يفعلونه فى الاستسقاء ونحوه لا فى حياته ولا بعد مماته لا عند قبره ولا غير قبره ولا يعرف هذا فى شيء من الادعية المشهورة بينهم .

وإنما ينقل شيء من ذلك فى احاديث ضعيفة مرفوعة أو موقوفة أو عن من ليس قوله حجة كما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى .

وهذا هو الذى قال ابو حنيفة وأصحابه أنه لا يجوز ونهوا عنه .
وقال وهذا الذى قاله أبو حنيفة وأصحابه من أن الله لا يسأل بمخلوق له معنيان احدهما هو موافق لسائر الائمة الذين يمنعون أن يقسم أحد بالمخلوق فانه إذا منع أن يقسم على مخلوق بمخلوق فلان يمنع أن يقسم على الخالق بمخلوق أولى واحرى .

وهذا بخلاف اقسامه سبحانه بمخلوقاته كالليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى — والشمس وضحاها — والنازعات غرقا — والصافات صفا — فان اقسامه بمخلوقاته يتضمن من ذكر آياته الدالة على قدرته وحكمته ووحدانيته ما يحسن معه اقسامه بخلاف المخلوق فان اقسامه بالمخلوقات شرك بخالقها . (كتاب الوسيلة ص ٥٠) .

وقال ولكن بعض الناس ظن أن توسل الصحابة به كان بمعنى انهم يقسمون به ويسألون به فظن هذا مشروعا مطلقا لكل احد فى حياته ومماته وظنوا أن هذا مشروع فى حق الانبياء والملائكة بل وفى الصالحين وفيمن يظن فيهم الصلاح وان لم يكن صالحا فى نفس الامر وليس فى الاحاديث المرفوعة فى ذلك حديث فى شيء من دواوين المسلمين التى يعتمد عليها فى الاحاديث لا فى الصحيحين ولا فى كتب السنن ولا المسانيد المعتمدة كمسند الامام أحمد وغيره وانما يوجد فى الكتب التى عرف أن فيها كثيرا من الاحاديث الموضوعة المكذوبة التى يختلقها الكذابون . (الوسيلة ص ٧٥) .

وقال وأما القسم الثالث مما يسمى توسلا وهو الاقسام على الله

عز وجل بالانبياء والصالحين أو السؤال بأنفسهم فانه لا يقدر أحد أن ينقل فيه عن النبي ﷺ شيئاً ثابتا لا فى الاقسام أو السؤال به ولا فى الاقسام أو السؤال بغيره من المخلوقين وإن كان فى العلماء من سوغه فقد ثبت عن غير واحد من العلماء أنه نهى عنه فتكون مسألة نزاع كما تقدم بيانه فيرد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله ويبدى كل واحد حجته كما فى سائر مسائل النزاع . (الوسيلة ص ١٠١) .

وقال وأصل هـذا الباب أن يقال الاقسام على الله بشىء من المخلوقات والسؤال له به أما أن يكون مأمورا به ايجابا أو استحبابا أو منهيا عنه نهى تحريم أو كراهة أو مباحا لا مأمورا به أو منهياً عنه وإذا قيل أن ذلك مامور به أو مباح فأما أن يفرق بين مخلوق ومخلوق أو يقال بل يشرع بالمخلوقات المعظمة أو ببعضها فمن قال أن هذا مأمور به أو مباح فى المخلوقات جميعها لزم أن يسأل الله تعالى بشياطين الانس والجن فهذا لا يقوله مسلم فان قال بل يسأل بالمخلوقات المعظمة كالمخلوقات التى اقسم بها فى كتابه لزم من هذا أن يسأل بالليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والانثى والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها ويسأل الله تعالى ويقسم عليه بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس ويسأل بالذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا ويسأل بالطور وكتاب مسطور فى رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور .

ويسأل ويقسم عليه بالصافات صفا . وسائر ما اقسم به الله فى

كتابه فان الله يقسم بما يقسم به من مخلوقاته لانها آياته ومخلوقاته فهى دليل على ربوبيته والوهيته ووحدانيته وعلمه وقدرته ومشيئته ورحمته وحكمته وعظمته وعزته فهو سبحانه يقسم بها لأن اقسامه بها تعظيم له سبحانه .

ونحن المخلوقات ليس لنا أن نقسم بها بالنص والاجماع بل ذكر غير واحد الاجماع على أنه لا يقسم بشيء من المخلوقات وذكروا اجماع الصحابة على ذلك بل ذلك شرك منهى عنه ومن سأل الله بها لزمه أن يسأله بكل ذكر وانثى وبكل نفس الهمها فجورها وتقوها ويسئاله بالرياح والسحاب والكواكب والشمس والقمر والليل والنهار والتين والزيتون وطورسينين ويسأله بالبلد الامين مكة ويسأله حينئذ بالبيت والصفا والمروة وعرفة ومزدلفة ومنى وغير ذلك من المخلوقات ويلزم ذلك أن يسأله بالمخلوقات التى عبدت من دون الله كالشمس والقمر والكواكب والملائكة والمسيح والعزير وغير ذلك مما عبد من دون الله ومما لم يعبد من دونه ومعلوم أن السؤال بهذه المخلوقات أو الاقسام عليه بها من أعظم البدع المنكرة فى دين الاسلام وما يظهر قبحه للخاص والعام (الوسيلة ص ١٠٣) .

وهكذا قرره فى (ص ١٤١ وص ١٤٧) فراجعه .

وقال المباركفورى فى شرح الترمذى الحق عندى أن التوسل بالنبى ﷺ فى حياته بمعنى التوسل بدعائه وشفاعته جائز .

وكذا التوسل بغيره من أهل الخير والصلاح فى حياتهم بمعنى التوسل بدعائهم وشفاعتهم أيضاً جائز .

وأما التوسل به ﷺ بعد مماته وكذا التوسل بغيره من أهل الخير والصلاح بعد مماتهم فلا يجوز واختاره الامام ابن تيمية فى رسالة التوسل والوسيلة . (تحفة الاحوذى ص ٣٧ ، ج ١٠) .

وقال الشاه انور شاه واعلم أن التوسل بين السلف لم يكن كما هو المعهود بيننا فإنهم إذا كانوا يريدون أن يتوسلوا باحد كانوا يذهبون بمن يتوسلون بـه أيضاً معهم ليدعوا لهم ثم يستعينون بالله ويدعونه ويرجون الاجابة ببركة شموله ووجوده فيهم وهو معنى الاستغاثة بالضعفاء أى استنزال الرحمة ببركة كونه فيهم أما التوسل باسماء الصالحين كما هو المتعارف فى زماننا بحيث لا يكون للمتوسلين بهم علم بتوسلنا .

بل لا تشترط فيه حياتهم أيضاً وانما يتوسل بذكر اسمائهم فحسب زعما منهم أن لهم وجاهة عند الله وقبولا فلا يضيعهم بذكر اسمائهم فذلك امر لا احب أن اقتحم فيه فلا أدعى ثبوته على السلف ولا انكره . (فيض البارى ص ٤٣٤ ، ج ٣ وهكذا فى ص ٣٧٩ ، ج ٢ ومثله فى العرف الشذى ص ٤٨٥) .

وقال الحافظ ابن القيم وقال ابن بلدجى فى شرح المختار ويكره أن يدعو الله إلا به فلا يقول اسألك بفلان أو بملائكتك أو بانبيائك ونحو ذلك لانه لاحق للمخلوق على خالقه .

أو يقول فى دعائه بمعقد العز من عرشك وعن أبى يوسف جوازه .

وما يقول فيه أبو حنيفة اكره كذا هو عند محمد حرام .

وعند أبى حنيفة وابى يوسف هو إلى الحرام أقرب وجانب التحريم عليه اغلب وفى فتاوى أبى محمد بن عبدالسلام أنه لا يجوز

سؤال الله سبحانه بشيء من مخلوقاته لا الانبياء ولا غيرهم وتوقف فى نبينا ﷺ لاعتقاده أن ذلك جاء فى حديث وأنه لم يعرف صحة الحديث . (اغاثـة اللهفان ص ٢٣٥ ، ج ١) .

وقد ذكر العلامة الآلوسى فى مسئلة الوسيلة كلاما حسنا وحقق هذا المقام تحقيقا انيقا اذكره بطوله .

قال واستدل بعض الناس بهذه الآيـة على مشروعية الاشتغاثـة بالصالحين وجعلهم وسيلة بين الله تعالى وبين العباد والقسم على الله تعالى بهم بان يقال اللهم انا نقسم عليك بفلان أن تعطينا كذا . ومنهم من يقول للغائب أو الميت من عباد الله تعالى الصالحين يا فلان أدع الله تعالى ليرزقنى كذا وكذا ويزعمون أن ذلك من باب ابتغاء الوسيلة ويروون عن النبى ﷺ أنه قال إذا اعيتكم الامور فعليكم بـأهل القبور أو فاستغيثوا بأهل القبور وكل ذلك بعيد عن الحق بمراحل .

وتحقيق الـكلام فى هذا المقام أن الاستغاثة بمخلوق وجعله وسيلة بمعنى طلب الدعاء منه لا شك فى جوازه إن كان المطلوب منه حيـا ولا يتوقف على افضليته من الطالب بل قد يطلب الفاضل من المفضول .

فقد صح أنه ﷺ قال لعمر رضى الله عنه لما استأذنه فى العمرة . لاتنسنا يا أخى من دعائك . وأمره أيضاً أن يطلب من اويس القرنى رحمة الله عليه أن يستغفر له . وامر امته ﷺ بطلب الوسيلة له كما مر آنفا . وبان يصلوا عليه . وأمـا إذا كان المطلوب منه ميتا أو غائبا فلا يستريب عالم أنـه غير جائز وانـه من البدع التى لم يفعلها أحـد من السلف .

نعم السلام على أهل القبور مشروع ومخاطبتهم جائزة فقد صح

أنه ﷺ كان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا . السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وانا إن شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله تعالى لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا اجرهم ولا تفتنا بعدهم وأغفرلنا ولهم . ولم يرو عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم وهم احرص الخلق على كل خير . إنه طلب من ميت شيئاً بل قد صح عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يقول إذا دخل الحجرة النبوية زائرا . السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابا بكر السلام عليك يا أبت ثم ينصرف ولا يزيد على ذلك ولا يطلب من سيد العالمين ﷺ أو من ضجيعيه المكرمين رضى الله تعالى عنهما شيئاً وهم اكرم من ضمته البسيطة وأرفع قدرا من سائر من احاطت به الافلاك المحيطة نعم الدعاء فى هاتيك الحضرة المكرمة والروضة المعظمة امر مشروع فقد كانت الصحابة رض تدعوا الله تعالى هناك مستقبلين القبلة ولم يرد عنهم استقبال القبر الشريف عند الدعاء مع أنه أفضل من العرش .

واختلف الأئمة فى استقباله عند السلام فعن أبى حنيفة أنه لا يستقبل بل يستدبر ويستقبل القبلة وقال بعضهم يستقبل وقت السلام وتستقبل القبلة ويستدبر وقت الدعاء . والصحيح المعول عليه أنه يستقبل وقت السلام وعند الدعاء تستقبل القبلة ويجعل القبر المكرم عن اليمين أو اليسار . فاذا كان هذا المشروع فى زيارة سيد الخليقة وعلة الايجاد على الحقيقة ﷺ فماذا تبلغ زيارة غيره بالنسبة إلى زيارته عليه الصلاة والسلام ليزاد فيها ما يزاد أو يطلب من المزور بها ما ليس من وظيفة العباد وأما القسم على الله تعالى باحد من خلقه مثل أن يقال اللهم انى أقسم عليك أو اسألك بفلان إلا ماقضيت لى حاجتى .

فعن ابن عبدالسلام جواز ذلك فى النبى ﷺ لأنه سيد ولد آدم ولا يجوز أن يقسم على الله تعالى بغيره من الانبياء والملائكة والاولياء لانهم ليسوا فى درجته .

وقد نقل ذلك عنه المناوى فى شرحه الكبير للجامع الصغير ودليله فى ذلك ما رواه الترمذى وقال حديث حسن عن عثمان بن حنيف رضى الله تعالى عنه أن رجلا ضرير البصر اتى النبى ﷺ فقال أدع الله أن يعافينى فقال إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خيرلك قال فادعه فامره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء اللهم انى اسألك واتوجه بنبيك نبى الرحمة يا رسول الله انى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى اللهم فشفعه فى ونقل أحمد مثل ذلك . ومن الناس من منع التوسل بالذات والقسم على الله تعالى بأحد من خلقه مطلقا وهو الذى يرشح به كلام المجد ابن تيمية ونقله عن الامام ابى حنيفة رضى الله عنه وأبى يوسف وغيرهما من العلماء الاعلام .

وأجاب عن الحديث بانه على حذف مضاف أى بدعاء أو شفاعة نبيك ﷺ ففيه جعل الدعاء وسيلة وهو جائز بل مندوب والدليل على ذلك التقدير قوله فى آخر الحديث فشفعه فى بل فى اوله أيضاً ما يدل على ذلك . وقد شنع التاج السبكى كما هو عادته على المجد فقال ويحسن التوسل والاستغاثة بالنبى ﷺ إلى ربه ولم ينكر ذلك أحد من السلف والخلف حتى جاء ابن تيمية فانكر ذلك وعدل عن الصراط المستقيم وابتدع ما لم يقله عالم وصار بين الانام مثلة انتهى .

وأنت تعلم أن الادعية المأثورة عن أهل البيت الطاهرين وغيرهم من الائمة ليس فيها التوسل بالذات المكرمة ﷺ .

ولو فرضنا وجود ما ظاهره ذلك فمول بتقدير مضاف كما سمعت أو نحو ذلك كما تسمع إن شاء الله تعالى ومن أدعى النص فعليه البيان وما رواه أبو داؤد فى سننه وغيره أن رجلا قال لرسول الله ﷺ انا نستشفع بك إلى الله تعالى ونستشفع بالله عليك فسبح رسول الله ﷺ حتى رؤى ذلك فى وجوه أصحابه فقال ويحك اتدرى ما الله تعالى ؟ إن الله تعالى لا يشفع به على احد من خلقه شان الله تعالى اعظم من ذلك .

لا يصلح دليلا على ما نحن فيه حيث انكر عليه قوله انا نستشفع بالله عليك ولم ينكر عليه الصلاة والسلام قوله نستشفع بك إلى الله لان معنى الاستشفاع به ﷺ طلب الدعاء منه وليس معناه الاقسام به على الله تعالى ولو كان الاقسام معنى للاستشفاع فلم انكر النبى ﷺ مضمون الجملة الثانية دون الاولى وعلى هذا لا يصلح الخبر ولا ما قبله دليلا لمن ادعى جواز الاقسام بذاته ﷺ حيا وميتا وكذا بذات غيره من الارواح المقدسة مطلقا قياسا عليه الصلاة والسلام بجامع الكرامة وإن تفاوت قوة وضعفا .

وذلك لأن ما فى الخبر الثانى استشفاع لا أقسلم وما فى الخبر الأول ليس نصافى محل النزاع وعلى تقدير التسليم ليس فيه إلا الاقسام بالحي والتوسل به وتساوى حالتى حياته ووفاته ﷺ فى هذا الشان يحتاج إلى نص ولعل النص على خلافه .

ففى صحيح البخارى عن انس رض أن عمر رض بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس رض فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبيك ﷺ فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون فانه لو كان التوسل به عليه الصلاة والسلام بعد انتقاله من هذه الدار لما عدلوا إلى غيره بل كانوا يقولون اللهم انا نتوسل اليك بنبينا فاسقنا .

وحاشاهم أن يعدلوا عن التوسل بسيد الناس إلى التوسل بعمه العباس وهم يجدون ادنى مساغ لذلك فعدولهم هذا مع انهم السابقون الاولون وهم أعلم منا بالله تعالى ورسوله ﷺ .

وبحقوق الله تعالى ورسوله ﷺ وما يشرع من الدعاء وما لا يشرع وهم فى وقت ضرورة ومخمصة يطلبون تفريج الكربات وتيسير العسير وانزال الغيث بكل طريق دليل واضح على أن المشروع ما سلكوه دون غيره . وما ذكر من قياس غيره من الارواح المقدسة عليه ﷺ مع التفاوت فى الكرامة الذى لا ينكره إلا منافق .

مما لايكاد يسلم على انك قد علمت أن الاقسام به عليه الصلاة والسلام على ربه عز شانه حيا وميتا مما لم يقم النص عليه ؛

لا يقال أن فى خبر البخارى دلالة على صحة الاقسام به ﷺ حيا وكذا بغيره كذلك أما الأول فلقول عمر رضى الله عنه فيه كنا نتوسل بنبيك وأما الثانى فلقوله انا نتوسل بعم نبيك .

لما قيل أن هذا التوسل ليس من باب الاقسام بل هو من جنس الاستشفاع وهو أن يطلب من الشخص الدعاء والشفاعة ويطلب من الله تعالى أن يقبل دعائه وشفاعته ويؤيد ذلك أن العباس رض كان يدعووهم يؤمنون بدعائه حتى سقوا وقد ذكر المجد أن لفظ التوسل بالشخص والتوجه إليه وبه فيه اجمال واشتراك بحسب الاصطلاح فمعناه فى لغة الصحابة أن يطلب منه الدعاء والشفاعة فيكون التوسل والتوجه فى الحقيقة بدعائه وشفاعته وذلك مما لا محذور فيه .

وأما فى لغة كثير من الناس فمعناه أن يسأل الله تعالي بذلك

ويقسم به عليه وهـذا هو محل النزاع . وقد علمت الـكلام فيه وجعل من الاقسام الغير المشروع قول القائل اللهم اسألك بجاه فلان .

فانه لم يرد عن احد من السلف أنه دعا كذلك وقال انما يقسم به تعالى وباسمائه وصفاته فيقال اسألك بان لك الحمد لا اله الا انت يا الله المنان بديـع السموات والأرض يا ذالجلال والاكرام يا حى يا قيوم واسألك بانك أنت الله الاحـد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يـكن له كفوا احد واسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك الحديث ونحو ذلك من الادعية المأثورة .

وما يـذكره بعض العامـة من قوله ﷺ إذا كانت لـكم إلى الله حاجة فاسألوا الله تعالى بجاهى فان جاهى عند الله عظيم .

لم يروه أحد من أهل العلم ولا هو فى شى من كتب الحديث .

وما رواه القشيرى عن معروف الـكرخى انه قال لتلامذتـه . إن كانت لـكم إلى الله حاجة فاقسموا عليه بي فانى الواسطة بينكم وبينه تعالى . الآن لا يوجد له سند يعول عليه عند المحدثين وقال . والناس قد افرطوا اليوم فى الاقسام على الله فاقسموا عليه عز شانه بمن ليس فى العير ولا النفير وليس عنده من الجاه قـدر رقطمير وأعظم من ذلك انهم يطلبون من أصحاب القبور نحو شفاء المريض واغناء الفقير ورد الضالة وتيسير كل عسير وتوحى اليهم شياطينهم خبر . إذا اعيتكم الأمور الخ .

وهو حديث مفترى على رسول الله ﷺ باجماع العارفين بحديثه لم يروه أحد من العلماء ولا يوجد فى شيء من كتب الحديث المعتمدة

وقد نهى النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد ولعن على ذلك فكيف يتصور منه على الامر بالاستغاثة والطلب عن اصحابها . سبحانك هذا بهتان عظيم .

وعن ابى يزيد البسطامى أنه قال استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون .

ومن كلام السجاد رض أن طلب المحتاج من المحتاج سفه فى رأيه وضلة فى عقله ومن دعاء موسى عليه السلام . وبك المستغاث وقال ﷺ لابن عباس رضى الله عنهما إذا استعنت فاستعن بالله . الخبر

وقال تعالى : إياك نعبد وإياك نستعين . وبعد هذا كله انا لا أرى بأسا فى التوسل إلى الله تعالى بجاه النبي ﷺ عند الله تعالى حيا وميتا ويراد من الجاه معنى يرجع إلى صفة من صفاته تعالى مثل أن يراد به المحبة التامة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته فيكون معنى قول القائل الهى اتوسل بجاه نبيك ﷺ أن تقضى لى حاجتى الهى اجعل محبتك له وسيلة فى قضاء حاجتى .

ولا فرق بين هذا وبين قولك الهى اتوسل برحمتك أن تفعل كذا إذ معناه أيضاً الهى اجعل رحمتك وسيلة فى فعل كذا .

بل لا أرى بأسا أيضاً بالاقسام على الله تعالى بجاهه ﷺ بهذا المعنى والكلام فى الحرمة كالكلام فى الجاه ولا يجرى ذلك فى التوسل والاقسام بالذات البحت نعم لم يعهد التوسل بالجاه والحرمة عن أحد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ولعل ذلك كان تحاشيا منهم عما يخشى أن يعلق منه اذهان الناس إذ ذاك وهم قريبو عهد بالتوسل بالاصنام شىء ثم اقتدى بهم من خلفهم من الائمة الطاهرين .

وقد ترك رسول الله ﷺ هدم الكعبة وتأسيسها على قواعد ابراهيم لكون القوم حديثي عهد بكفر كما ثبت ذلك فى الصحيح وهذا الذى ذكرته انما هو لدفع الحرج عن الناس والفرار من دعوى تضليلهم كما يزعمه البعض فى التوسل بجاه عريض الجاه ﷺ لا للميل إلى أن الدعاء كذلك أفضل من استعمال الادعية المأثورة التى جاءت بها الكتاب وصدحت بها السنة فانه لا يستريب منصف فى أن ما علمه الله تعالى ورسوله ﷺ ودرج عليه الصحابة الكرام رضى الله تعالى عنهم وتلقاه من بعدهم بالقبول أفضل واجمع وانفع واسلم فقد قيل ما قيل ان حقا وان كذبا .

ــ بقى ههنا امران ــ الأول أن التوسل بجاه غير النبى ﷺ لا بأس به أيضاً إن كان المتوسل بجاهه مما علم أن له جاها عند الله تعالى .

كالمقطوع بصلاحه وولايته وأما من لا قطع فى حقه بذلك فلا يتوسل بجاهه لما فيه من الحكم الضمنى على الله بما لم يعلم تحققه منه عز شانه وفى ذلك جرأة عظيمة على الله تعالى . الثانى أن الناس قد اكثروا من دعاء غير الله تعالى إلى آخر ما نقلته سابقا فتذكر . (تفسير روح المعانى ص ١٢٤-١٢٨ ، ج ٦) .

ثم اعلم أن القائلين بجواز هذا النحو الاخير من التوسل وهو الموسوم بالتوسل بالذوات والتوسل باسماء الصالحين قد استدلوا لاثبات مطلوبهم بوجوه .

وتمسكوا فيه بشبهات اكثرها واهية الاشتغال بازاحتها . والاجوبة عنها تضييع للوقت وبعضها قابل لأن يتعرض له بالرد والازاحة .

ولما استراح القلم عن الكلام على مفهوم التوسل واقسامه وعن بيان الشرعى من اقسامه وغير الشرعى منها ناسب أن اتكلم على تلك الوجوه والشبهات تتميما للفائدة .

وأعلم أن استقصاء الكلام على تلك الوجوه يفضى إلى تطويل ممل لا تسعه هذه الرسالة من شاء الاستقصاء فليرجع إلى صيانة الانسان للعلامة محمد بشير السهسوانى وكتاب الوسيلة للحافظ ابن تيمية وغير ذلك والمقصود ههنا هو التعرض اليها على سبيل الاختصار .

فأقول من تلك الوجوه التمسك بحديث الاستسقاء بالعباس وهو ما اخرج البخارى عن انس بن ماللك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب رضى الله تعالى عنه فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا ﷺ فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون . (صحيح البخارى ص ١٣٧-٥٢٦ ، ج ١ ومشكاة ص ١٤٥) .

قال العينى فى شرح البخارى وهذا الحديث تفرد به البخارى عن الستة ص ٣٣ ، ج ٧) .

قالوا فقد دل الحديث على جواز التوسل بذوات الصالحين حيث توسل عمر بالعباس ولم ينكر عليه احد من الصحابة وكفى به دليلا .

والجواب عن هذا التمسك أن هذا الحديث لامساس له بمطلوبكم ولا دلالة له على محل النزاع .

لأن محل النزاع انما هو الدعاء باسم أحد من الخلق غائبا أو ميتا من غير أن يطلب منه الدعاء والشفاعة والثابت بهذا الحديث انما هو

طلب الدعاء ، والشفاعة من الحى فان استسقاء عمر بالعباس انما كان بدعائه على طريقة معهودة فى الشرع وهى أن يخرج من يستسقى به إلى المصلى فيستسقى ويستقبل القبلة داعيا ويحول رداءه ويصلى ركعتين أو نحوه من هيئات الاستسقاء التى وردت فى الاحاديث الصحيحة وصرح بها الفقهاء .

وهذا مما لا ينكره أحد من المسلمين كيف ولو كان من قبيل محل النزاع لما كان لعمر وغيره من الصحابة أن يعدلوا عن التوسل بسيد الناس إلى التوسل بعمه العباس فهو ترك للافضل إلى المفضول وطلب للادنى مع حصول الاقوى والاعلى بل كان عليهم أن يقولوا انا نتوسل بنبينا فاسقنا .

فعدول عمر عن الاستسقاء بالنبى ﷺ إلى الاستسقاء بالعباس دليل على نفى جواز التوسل بالذوات البحتة فهذا الحديث حجة على القائلين بالجواز لا انه حجة لهم .

وقد ورد التصريح فى الاحاديث بان التوسل بالعباس انما كان بدعائه واستسقائه قال البدر العينى وذكر الامام ابو القاسم بن عساكر فى كتاب الاستسقاء من حديث ابراهيم بن محمد عن حسين بن عبدالله عن عكرمة عن ابن عباس أن العباس قال ذلك اليوم اللهم إن عندك سحابا وإن عندك ماء فانشر السحاب ثم انزل منه الماء ثم انزله علينا . إلى آخر ما قال .

وقال وفى حديث أبى صالح فلما صعد عمر ومعه العباس المنبر قال عمر رضى الله عنه اللهم انا توجهنا اليك بعم نبيك وصنوابيه فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ثم قال قل يا أبا الفضل فقال العباس

اللهم لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه بى القوم اليك لمكانى من نبيك وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا بالتوبته فاسقنا الغيث قال فارخت السماء شأبيب مثل الجبال حتى اخصبت الأرض وعاش الناس . (عمدة القارى ص ٣٢ ، ج ٧) وقال العلامة الكشميرى وصفة استسقاء العباس ما اخرجه الحافظ اللهم لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه القوم بى اليك لمكانى من نبيك وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث اه . (فيض البارى ص ٣٧٩ ، ج ٢) .

وقال بيانه انهم كانوا إذا استسقوا كانوا يستسقون بالنبى ﷺ فى حياته .

وبعده استسقى عمر بمن معه بالعباس عم النبى ﷺ فجعلوه كالامام الذى يسأل فيه لأنه كان امس الناس بالنبى ﷺ واقربهم إليه رحما ص ٣٢ ، ج ٧) .

وقال العلامة الكشميرى ليس فيه التوسل المعهود الذى يكون بالغائب حتى قد لا يكون به شعور اصلا بل فيه توسل السلف وهو أن يقدم رجلا ذا وجاهة عند الله تعالى ويأمره أن يدعو لهم ثم يحيل عليه فى دعائه كما فعل بعباس رضى الله تعالى عنه عم النبى ﷺ . ولو كان فيه توسل المتأخرين لما احتاجوا باذهاب عباس رضى الله عنه معهم ويكفى لهم التوسل بنبيهم بعد وفاته أيضاً أو بالعباس رضى الله عنه مع عدم شهوده معهم . (فيض البارى ص ٣٧٩ ، ج ٢ وقال فى ص ٦٨ ، ج ٤) قلت وهذا توسل فعلى لأنه كان يقول له بعد ذلك قم يا عباس فاستسق فكان يستسقى لهم فلم يثبت منه التوسل القولى أى

الاستسقاء باسماء الصالحين فقط بدون شركتهم اه . ونحوه فى صيانة الانسان ص ٢٠٧) .

وقال الحافظ ابن تيمية فاستسقوا به كما كانوا يستسقون بالنبى ﷺ فى حياته وهو انهم يتوسلون بدعائه وشفاعته لهم فيدعو لهم ويدعون معه كالامام والمأمومين من غير أن يكونوا يقسمون على الله بمخلوق كما ليس لهم أن يقسم بعضهم على بعض بمخلوق ولما مات النبى ﷺ توسلوا بدعاء العباس واستسقوا به . (اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٩٨) .

وقال وقول عمر رضى الله عنه معناه نتوسل إليك بدعائه وشفاعته وسؤاله ونحن نتوسل إليك بدعاء عمه وسؤاله وشفاعته . ليس المراد انا نقسم عليك به أو ما يجرى هذا المجرى مما يفعله المبتدعون بعد موته ومغيبه كما يقول بعض الناس اسألك بجاه فلان عندك .

ويقولون انا نتوسل إلى الله بانبيائه واوليائه ويروون حديثا موضوعا إذا سألتم الله فاسألوه بجاهى فان جاهى عندالله عريض .

فانه لو كان هذا هو التوسل الذى كان الصحابة يفعلونه كما ذكر عمر رض لفعلوا ذلك به بعد موته ولم يعدلوا عنه إلى العباس مع علمهم أن السؤال به والاقسام به اعظم من العباس .

فعلم أن ذلك التوسل الذى ذكروه هو مما يفعله الاحياء دون الاموات وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم فان الحى يطلب منه ذلك والميت لا يطلب منه شيء لا دعاء ولا غيره . (الاقتضاء ص ٤١٥)

ومنها أى من تلك الوجوه التمسك بما روى عن عثمان بن حنيف رض قال ان رجلا ضرير البصر أتى النبى ﷺ فقال ادع الله أن يعافينى فقال

إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك قال فادعه . قال فامره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء اللهم انى أسألك واتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة انى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى اللهم فشفعه فى أخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن عريب لا نعرفه إلامن هذا الوجه من حديث أبى جعفر وهو غير الخطمى ص ١٩٧ ، ج ٢ وابن ماجه ص ١٠٠ ومشكاة ص ٢٣٦) . وأخرجه أيضاً النسائى والحاكم والطبرانى وابن خزيمه . (راجع تحفة الاحوذى ص ٣٢ ، ج ١٠) .

اقول الجواب من هذا الحديث من وجوه :

الوجه الأول أن هذا الحديث وإن صححه الترمذى لكنه غير صحيح واخطأ الترمذى فى تصحيحه كما حققه شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتاب الوسيلة .

والعلامة محمد بشير السهسوانى فى صيانة الانسان وذكر عدة احاديث اخطأ الترمذى فى تصحيحها راجع اليهما .

والثانى من وجوه الجواب أن خبر الواحد بعد استجماع شرائطه وصحته إنما يكون حجة فى الأمور التى لا تكون البلوى بها عامة وأما إذا كان الحكم مما تكون البلوى بها عامة فلا يكون خبر الواحد حجة فيه كما تقرر فى كتب أصول الفقه . قال فى أصول الشاشى وباعتبار هذا المعنى قلنا خبر الواحد إذا خرج مخالفا للظاهر لا يعمل به ومن صور مخالفة الظاهر عدم اشتهار الخبر فيما يعم به البلوى فى الصدر الأول . والثانى لأنهم لا يتهمون بالتقصير فى متابعة السنة فاذا لم يشتهر الخبر مع شدة الحاجة وعموم البلوى كان ذلك علامة عدم صحته (ص ٧٧) وكذا فى التوضيح (ص ٩ ، ج ٢) طبع مصر .

ولا شك أن الدعاء من العبادات التى تعم الناس وعم بها البلوى فلوكان التوسل باسماء الصالحين امرا مستحسنا وواقعا فى المسلمين لم يجز أن يقع فى حيز الخفاء ولم يختص بنقله واحد دون واحد من الصحابة والتابعين بل كان ثابتا عن جمهور الصحابة والتابعين مع أن الادعية الواردة فى القرآن والذخيرة الوافية من الادعية المنقولة بالنقل الصحيح ليس فيها الدعاء بهذا الطريق لا من النبى ﷺ ولا عن احد من الخلفاء الراشدين ولا عامة الصحابة رضى الله تعالى عنهم فلا يسوغ العمل بما ورد فى هذا الخبر الغريب فى مقابلة ذلك النقل المستفيض الشائع وقد قال رسول الله ﷺ قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ . (ابن ماجة ص ٥) .

والثالث من وجوه الجواب أن حديث الاعمى أيضاً ليس نصا فى محل النزاع بل الظاهر أن هذا أيضاً من باب التوسل بالدعاء والشفاعة ويدل عليه قوله ﷺ أن شئت دعوت وقول الضرير ادع الله أن يعافينى وقوله فى الدعاء فشفعه فى والباء فى قوله اتوجه إليك بنبيك للتعدية كما فى المرقات (ص ٢٥٢ ، ج ٥) .

فالمعنى اجعل نبيك متوجها إليك لاجل شفاعة نفسى ودعاء حاجتى ولا يصح أن تكون الباء للسببية أو الوساطة كما لا يخفى على من له ادنى بصيرة فهذا الحديث انما هو حجة لنا لا علينا كما هو المطلوب قال العلامة السهسوانى فان امثل ما يستدل به على هذا المطلب هو حديث عثمان بن حنيف وهو غير ثابت لأن فى سنده ابا جعفر الرازى وهو سيء الحفظ يهم كثيرا فلا يحتج بما ينفرد به .

وعلى تقدير ثبوتـه فالمراد بقوله بنبيك بـدعاء نبيك وشفاعته بـل هذا متعين بدليل قول الضرير أدع الله أن يعافيني وقوله ﷺ إن شئت دعوت وقوله فى الدعاء فشفعه فى (صيانـة الانسان ص ٢٠٤) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية وكذلك حديث الاعمى فانه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له ليرد الله عليه بصره فعلمه النبي ﷺ دعاء امره فيه أن يسأل الله تعالى قبول شفاعته وأن قوله اسألك واتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة أي بدعائه وشفاعته كما قال عمر كنا نتوسل إليك بنبينا . فلفظ التوجه والتوسل فى الحديثين بمعنى واحد .

ثم قال يا محمد يا رسول الله انى اتوجه بك إلى ربى فى حاجتى ليقضيها اللهم فشفعه فى فطلب من الله أن يشفع فيه نبيه وقوله يا محمد يا نبي الله هـذا وامثاله نـداء يطلب بـه استحضار المنادى فى القلب فيخاطب لشهوده بالقلب كما يقول المصلى السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته والانسان يفعل مثل هذا كثيرا يخاطب من يتصوره فى نفسه إن لم يكن فى الخارج من يسمع الخطاب . (اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤١٥) .

وقال فى كتاب الوسيلة وحـديث الاعمى لا حجة لهم فيه فانـه صريح فى انـه انمـا توسل بـدعاء النبي ﷺ وشفاعته وهو طلب من النبي ﷺ الدعاء وقـد امره النبي ﷺ أن يقول اللهم شفعه فى ولهذا رد الله عليه بصره لما دعا له النبي ﷺ وكان ذلك مما يعد من آيات النبي ﷺ ولو توسل غيره من العميان الذين لم يدع لهم النبي ﷺ لم تـكن حالهم كحاله (ص ٥٨) .

وقال وحديث الاعمى الذى رواه الترمذى والنسائى هو من القسم

الثانى من التوسل بدعائه فان الاعمى قد طلب من النبى ﷺ أن يدعوله بان يرد الله عليه بصره فقال له إن شئت صبرت وإن شئت دعوت لك فقال بل ادعه فامره أن يتوضأ ويصلى ركعتين ويقول اللهم انى اسألك بنبيك نبى الرحمة يا محمد يا رسول الله انى اتوجه بك إلى ربى فى حاجتى هذه ليقضيها اللهم فشفعه فى فسأل الله أن يقبل شفاعة رسوله فيه وهو دعائه وهذا الحديث ذكره العلماء فى معجزات النبى ﷺ ودعائه المستجاب وما اظهر الله ببركة دعائه لهذا الاعمى اعاد الله عليه بصره وهذا الحديث حديث الاعمى قد رواه المصنفون فى دلائل النبوة كالبيهقى وغيره . ثم ساق الكلام على اسناد الحديث . (كتاب الوسيلة ص ٨٧-٨٨) .

وقال فهذا الحديث فيه التوسل به إلى الله فى الدعاء فمن الناس من يقول هذا يقتضى جواز التوسل به مطلقا حيا وميتا وهذا يحتج به من يتوسل بذاته بعد موته وفى مغيبه ويظن هؤلاء أن توسل الاعمى والصحابة فى حياته كان بمعنى الاقسام به على الله أو بمعنى انهم سألوا الله بذاته أن يقضى حوائجهم ويظنون أن التوسل به لا يحتاج إلى أن يدعو هو لهم ولا إلى أن يطيعوه فسواء عند هؤلاء دعا الرسول لهم أو لم يدع .

الجميع عندهم توسل بـه وسواء اطاعوه أو لم يطيعوه ويظنون أن الله تعالى يقضى حاجة هـذا الذى توسل بـه بزعمهم ولم يدع له الرسول كما يقضى حاجة هذا الذى توسل بدعائه ودعا له الرسول ﷺ إذ كلاهما متوسل بـه عندهم ويظنون أن كل من سأل الله بالنبى ﷺ فقد توسل بـه كما توسل بـه ذلك الاعمى وأن ما امر بـه الاعمى مشروع لهم .

فقول هؤلاء باطل شرعا وقدرا فلا هم موافقون لشرع الله ولا ما يقولونه مطابق لخلق الله تعالى .

ومن الناس من يقولون هذه قضية عين يثبت الحكم فى نظائرها التى تشبهها فى مناط الحكم لا يثبت الحكم بها فى ما هو مخالف لها لا مماثل لها والفرق ثابت شرعا وقدرا بين من دعا له النبى ﷺ وبين من لم يدع له ولا يجوز أن يجعل احدهما كالآخر : إلى آخر ما قال (ص ١٢٧-١٢٨) .

ومنها التمسك بما روى عن مصعب بن سعد قال رأى سعد أن له فضلاً على من دونه فقال النبى ﷺ هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم . أخرجه البخارى ص ٤٠٥ مشكاة ص ٤٤٦ ونيل الاوطار ص ١٠٣ ، ج ٨) .

وروى عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ابغونى فى ضعفائكم فانكم إنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم . رواه أحمد وأبو داؤد والنسائى والترمذى . منتقى الأخبار مع نيل الاوطار ص ١٠٣ ، ج ٨ مشكاة ص ٤٤٧ ترمذى ص ٢٠٣ ، ج ١) .

وروى عن انس رضى الله تعالى عنه قال كان اخوان على عهد رسول الله ﷺ فكان احدهما يأتى النبى ﷺ .

والآخر يحترف فشكا المحترف اخاه النبى ﷺ فقال لعلك ترزق به . رواه الترمذى . وقال هذا حديث صحيح غريب . (مشكاة ص ٤٥٣) .

وروى عن امية بن خالد بن عبدالله بن اسيد عن النبى ﷺ أنه

كان يستفتح بصعاليك المهاجرين . (رواه فى شرح السنة ، مشكاة ص ٤٤٧) :

والجواب أن شيئاً من هـذه الاحاديث لا يدل على جواز الدعاء بواسطة احد من الخلق أو وسيلته أو بركته أو غير ذلك بل كل ذلك انما هو من قبيل التوسل بدعاء الحى ومسألته وشفاعته لأن معنى الاحاديث الثلاثـة الأول انما هو انـكم ترزقون وترحمون بدعاء ضعفائـكم وذلك لأن الضعفاء اشد اخلاصا فى الدعاء وأكثر خشوعا فى العبادة لخلو قلوبهم عن التعلق بزخارف الـدنيا وزينتها وصفاء ضمائرهم عمـا يقطع التعلق بين الـرب وعبده فـدعائهم اقـرب إلى الاجابة عند الله تعالى فيكون من قبيل التوسل بدعاء الاحياء وشفاعتهم ولا ينكره أحد من المسلمين ومعنى الحديث الرابع أن رسول الله ﷺ كان يطلب من الله تعالى الفتح والنصرة بـدعاء فقراء المهاجرين فان دعائهم لأجـل فقرهم وهجرتهم وشدة خلوصهم وخشوعهم كان اقرب من الاجابة عند الله تعالى فهذا أيضاً من قبيل التوسل بدعائه وشفاعته وليس المعنى أن النبى ﷺ كان يسأل بواسطتهم وبوسيلتهم وغـير ذلك كما توهم فان جميع عبادات رسول الله ﷺ وجميع ادعيته منقولة الينا ومذكورة فى الاحاديث حتى أن سنن النبى ﷺ فى حالة التخلى وحالة المجامعة .

بل جميع احـواله فى الليل والنهار واحواله فى البيت وخارج البيت وفى الحضر والسفر مذكـورة ومنقولة اليـنا لم يبق شىء منها فى حيز الخفاء مـع انه ليس فى شىء منها أن رسول الله ﷺ دعا بوسيلة أحد أو ببركته وحرمته وغير ذلك بل انما كان يدعو الله وحده باسمائـه وصفاتـه ومن ادعى فعليه البيان فهذا أيضاً من قبيل التوسل بدعاء

الحى وشفاعته وقد صرح أرباب العلم بما ذكرنا فى معنى الاحاديث المذكورة .

قال العلامــة الكشميرى وأما التمسك بقوله ﷺ انما ترزقون بضعفائكم فليس بناهض لانه ليس على التوسل بل معناه أن الله يرزقكم برعاية الضعفاء والرعاية لكونهم فيكم لا للتوسل اللسانى فقط اللهم ارزقنا بوسيلة فلان . (فيض البارى ص ٣٧٩ ، ج ٢) .

وقال البدر العينى وأخبر ﷺ أن بدعائهم ينصرون ويرزقون لأن عبادتهم ودعائهم اشد اخلاصا وأكثرها خشوعاً لخلو قلوبهم من التعلق بزخرف الدنيا وزينتها وصفاء ضمائرهم عما يقطعهم عن الله تعالى فجعلوا همهم واحدا فزكت اعمالهم .

واجيب دعائهم وقال وفى رواية الاسماعيلى انما ينصر الله هذه الامة بضعفائهم بدعواتهم وصلواتهم واخلاصهم . (عمدة القارى ص ١٧٩ ، ج ١٤) .

وهكذا قاله ابن بطال على ما ذكره ابن حجر فى فتح البارى راجع هامش البخارى (ص ٤٠٥ هندسه ١١) .

وذكره الشوكانى فى نيل الاوطار وفيه أيضاً ورواه عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن ابيه مرفوعاً أيضاً لكنه اختصره ولفظه ينصر المسلمون بدعاء المستضعفين أخرجه أبو نعيم فى الحلية وقال وقد روى عبدالرزاق من طريق مكحول فى قصة سعد هذه زيادة مع ارسالها فقال قال سعد يا رسول الله ارأيت رجلا يكون حامية القوم ويدفع عن أصحابه ايكون نصيبه كنصيب غيره فذكر الحديث وعلى هذا فالمراد بالفضل ارادة الزيادة من الغنيمة .

فاعلمه ﷺ أن سهام المقاتلة سواء فان كان القوى يترجح بفضل شجاعته فان الضعيف يترجح بفضل دعائه واخلاصه . (نيل الاوطار ج ٨ ، ص ١٠٤) .

وقال شيخ الاسلام والاستفتاح طاب الفتح وهو النصر ومنه الحديث المأثور أن النبي ﷺ كان يستفتح بصعاليك المهاجرين أى يستنصر بهم أى بدعائهم كما قال وهل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم . بصلواتهم ودعائهم واخلاصهم . (كتاب الوسيلة ص ١١١) .

وأما ورود كلمة الباء فى هذه الاحاديث فلا تدل على معنى التوسل والتوسط . كما روى عن ابن عباس رض عن النبي ﷺ قال اللهم اعز الاسلام بأبى جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب الحديث رواه أحمد والترمذى كما فى المشكاة (ص ٥٥٧) مناقب عمر .

فان عمر أيضاً كان يومئذ مشركا فليس معنى الحديث سؤال اعزاز الاسلام ببركة أحد هذين أو وسيلته كما لا يخفى على من له ادنى نهية وقال الله تعالى فعززناهما بثالث . (يس)

وقال تعالى سنشد عضدك باخيك (طه) .

فليس معنى الآية أن الله تعالى يدعو ويسأل بواسطة أحد كما لا يخفى ومنها التمسك بقوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عندالله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به . (بقرة : ٨٩) .

وجه التمسك أن معنى الآية انهم كانوا يطلبون من الله تعالى النصرة والغلبة على المشركين بواسطة محمد ﷺ حيث يقولون اللهم انصرنا بحق محمد ﷺ وبوسيلته فدل ذلك على جواز هذا النحو من التوسل والجواب عن هذا التمسك بوجهين .

الاول أن تفسير هذه الآية بهذا المعنى باطل بل الحق هو ما ذكره ارباب التحقيق من المفسرين وهو أن اليهود كانوا يطلبون من الله النصرة بمجيء هذا النبي وبعثته يقولون اللهم ابعث هذا النبي الذى نجده مكتوبا عندنا لنتبعه حتى نعذب المشركين ونقتلهم وليس المعنى انهم كانوا يقسمون على الله باسمه .

قال الحافظ ابن كثير أى وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على اعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم يقولون أنه سيبعث نبي فى آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وارم كما قال محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمرو عن قتاده الانصارى عن اشياخ منهم قال فينا والله وفيهم يعنى فى الانصار وفى اليهود الذين كانوا جيرانهم نزلت هذه القصة قالوا كنا قد علوناهم دهرا فى الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل الكتاب وهم يقولون أن نبياً سيبعث الآن نتبعه قد اظل زمانه فنقتلكم معه قتل عاد وارم .

فلما بعث الله رسوله من قريش واتبعناه كفروا به .

وقال الضحاك عن ابن عباس رض فى قوله وكانوا من قبل يستفتحون . يستنصرون يقولون نحن نعين محمدا عليهم وليسوا كذلك بل يكذبون وقال قال أبو العالية كانت اليهود تستنصر بمحمد ﷺ على مشركى العرب يقولون اللهم ابعث هذا النبي الذى نجده مكتوبا عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم فلما بعث الله محمدا ﷺ . ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدا للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ (تفسير ابن كثير ص ١٢٤ ، ج ١) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية وأما قوله تعالى وكانوا يستفتحون

على الذين كفروا . فكانت اليهود تقول للمشركين سوف يبعث هذا النبي ونقاتلكم معه فنقتلكم لم يكونوا يقسمون على الله بذاته ولا يسألون به بل يقولون اللهم ابعث هذا النبي الامى نتبعه ونقتل هؤلاء معه .

هذا النقل الثابت عند أهل التفسير وعليه يدل القرآن فانه قال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون . والاستفتاح الاستنصار وهو طلب الفتح والنصرة فطلب الفتح والنصرة به هو أن يبعث فيقاتلونهم معه فبهذا ينصرون . ليس هو باقسامهم به وسؤالهم به إذ لو كان كذلك لكانوا إذا سئلوا واقسموا به نصروا ولم يكن الامر كذلك بل لما بعث الله محمدا ﷺ نصر الله من آمن به وجاهد معه على من خالفه . (كتاب الوسيلة ص ١٠٨) .

وأما ما روى من انهم كانوا يسألون بحق النبي ﷺ فينصرون فهو ضعيف واه ليس قابلا لأن يستدل به قال الجلال السيوطى .

أخرج الحاكم فى المستدرك والبيهقى فى الدلائل بسند ضعيف عن ابن عباس قال كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فكلما التقوا هزموا يهود فعاذت يهود بهذا الدعاء اللهم انا نسألك بحق محمد النبي الامى الذى وعدتنا أن تخرجه لنا فى آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا فيهزمون غطفان . اسباب النزول على حاشية الجلالين (ص ١٩) فهذا السيوطى قد اعترف بضعف هذا السند .

وقال شيخ الاسلام وما ذكره بعض المفسرين من انهم كانوا يقسمون به أو يسألون به فهو نقل شاذ مخالف للنقول الكثيرة المستفيضة المخالفة له . ثم ساق الكلام فى ذكر ما ذكره المفسرون فى تفسير هذه الآية مثل ما ذكرنا عن تفسير ابن كثير .

ثم قال وأما الحديث الذى يروى عن عبدالملك بن هارون بن عنزة عن ابيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كانت يهود خيبر تقاتل غطفان .

فكلما التقوا هزمت يهود فعاذت بهذا الدعاء اللهم انا نسئلك بحق محمد النبى الامى الذى وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم فكانوا إذا دعوا بهذا الدعاء هزموا غطفان فلما بعث النبى ﷺ كفروا فانزل الله تعالى وكانوا من قبل . وهذا الحديث رواه الحاكم فى مستدركه وقال ادت الضرورة إلى اخراجه وهذا مما انكره عليه العلماء فان عبدالملك بن هارون من اضعف الناس .

وهو عند أهل العلم بالرجال متروك بل كذاب وقد تقدم ما ذكره يحيى بن معين وغيره من الائمة فى حقه ثم ساق الكلام إلى آخره كتاب الوسيلة من ص ١٠٨ إلى ص ١١٢ .

والثانى من وجهى الجواب أن الاستدلال بهذه الآية عجيب جدا فان الضمير فى كانوا يستفتحون انما هو راجع إلى اليهود فالله تعالى انما قص عمل اليهود عليهم الغضب واللعنة .

فهذا الاستدلال انما هو الاستدلال بعمل اليهود فان كان عملهم حجة فالله تعالى قد حكى عنهم عبادة العجل وقتل الانبياء وغير ذلك من القبائح مع أنه لا يشك أحد من المسلمين فى بطلان الاستدلال على جواز هذه الخباثات بعملهم .

فان قلت قد تقرر فى الأصول أن شرائع من قبلنا حجة لنا إذا قصها الله أو الرسول من غير انكار عليها .

قلت : نعم لكن يشترط فيه امر أن احدهما أن يكون المقصوص من حيث كونه شريعة لمن قبلنا .

والثانى أن لا يرد الانكار والرد عليه فى شريعتنا .

قال صدر الشريعة والمذهب عندنا هذا لكن لما لم يبق الاعتماد على كتبهم للتحريف شرطنا أن يقص الله تعالى علينا من غير انكار . التوضيح (ص ١٦ ، ج ٦) على هامش التلويح . وكذا فى الحسامى والمولوى ص ٢٣٢) .

وفى مسئلة استفتاح اليهود كلا الامرين منتفيان أما الأول فلان هذا الاستفتاح ليس مقصوصاً من حيث كونه شريعة موسوية بل انما قصه الله من عملهم فى ضمن بيان خباثاتهم وقباحاتهم كما قص الله تعالى عنهم فى هذه السورة وفى سور أخرى اقوالا وافعالا قبيحة واعتقادات كفرية شركية فلا يمكن أن يكون شريعة لنا كغيره من أقوالهم وافعالهم الشنيعة .

وأما الثانى فلما ذكرنا من الاحاديث والآيات الدالة على وجوب اخلاص الدعاء لله والواردة فى مذمة البدع والمحدثات فى الدين وعدم جواز الاقسام على الله باحد من خلقه وكون الاقسام بغير الله شركا فان هذه الآيات والاحاديث كلها تدل على نفى الاستنصار بالمخلوق والرد والانكار عليه كما لا يخفى على اولى النهى .

واعلم أن للمستغيثين بالاموات وجوها أخرى من التمسك فى هذه المسئلة لكنها واهية ضعيفة جدا رأينا تركها اجدر وقد استقصى الكلام عليها العلامة السهسوانى فى صيانة الانسان وشيخ الاسلام ابن تيمية فى كتبه فليراجع اليها .

فليكن هذا آخر ما أردنا جمعه وتأليفه بفضل الله تعالى وتوفيقه .

والحمد لله اولاً وآخراً وصلى الله على نبيه محمد وآله وأصحابه وكل من تبعهم إلى يوم الدين ــ آمين يا رب العالمين .

وقد وقع الفراغ عن هذا التسويد ليلة الجمعة ـ جمادى الثانية ١٤٠٠هـ المطابق ٢٤ ابريل ١٩٨٠هـ

تقريظ العلامة الفهامة شيخ القرآن والحديث مولانا عنايت الرحمن مدظله ـ مهتمم دارالعلوم الرحمانية ـ درگی

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه وخاتم انبيائه والمرسلين . أما بعد فقد طالعت بعض اجزاء هذه الرسالة تأليف الأخ البار العلامة الفهامة فى رد البدع الشركية ــ والأقوال الواهية ــ فوجدتها بحمد الله تعالى كافلة ولاتمام الحجة كافية واسأل الله تعالى أن ينفع بها الطلبة والكملة . ويجعلها وسيلة للساعة الداهية واطلب من الطلبة الانتفاع بها وأن يجعلوها ذخيرة ثمينة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

العبد الأحقر محمد عنايت الرحمن غفر له الديان

١٢ ذى الحجة ١٤٠٠هـ

المؤلفات الأخرى للمؤلف

عقد اللآلى والدرر فى تحقيق المسائل الاربعة عشر	(عربى)
سوشلزم اور اسلام	(افغانى)
تحديد نسل اور اسلام	(افغانى)
ازاحة الشبهات فى مسئلة الدعاء بعد الصلواة	(عربى)
اقض الفتوى بجواز المروج فى الدعاء بعد الراتبة	(عربى)
معارف الحق	(عربى)
مقالة فى مسألة عصمة الانبياء ــ مطبوع	(اردو)
لوامع النجوم على سلم العلوم ــ غير مطبوع	(عربى)
الجواهر المضيئة على شرح العقائد النسفية ــ غير مطبوع	(عربى)

الفهرس

